القولوغلية في ليبيا

تأصيل لغو ي / تاريخي لمصطلح عثماني

(مع معطيا ت مقارنة في تونس والجزائر)

عمار محمد جحيدر

(مجمع اللغة العربية)

القسم الأول من النشرة الرقمية للكتاب

طرابلس (1442هـ / 2021م)

منشورات موقع بلد الطيوب سلسلة الكتاب الليبي

الكتاب: القُولُوغْلِيَّة فِي لِيْبِيَا (تأصيلٌ لغويٌّ / تاريخيٌّ لمصطلحٍ عثماني)

الكاتب: عمار محمد جحيدر

الطبعة: الأولى

الناشر: موقع بلد الطيوب (منشورات الطيوب)

سلسلة الكتاب الليبي 45

رقم الإيداع: 2022/23

ردمك ISBN 978-9959-9685-3-1

www.tieob.com

info@tieob.com

2021

القولوغليّة في ليبيا

تأصيلٌ لغويٌّ / تاريخيٌّ لمصطلحٍ عثماني

(مع معطياتٍ مقارنةٍ في تونس والجزائر)

***

القسم الأول من الدراسة

***

ويليه القسم الثاني ـ بإذن الله تعالى

(مقاربةٌ أوليّةٌ لشريحةٍ من السكان)

وفيه أربعةُ فصولٍ وملحقٌ توثيقيٌّ مصوّر

الفقير إلى رحمته تعالى

عمار محمد جحيدر

(مجمع اللغة العربية ـ طرابلس)

(1442هـ / 2021م)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى روحِ أستاذي المؤرِّخ الموثق

بدار المحفوظات التاريخية

الأستاذ محمد الأسطى (1900 ـ 1991)

(العثماني الأخير / في آخرِ ولايةٍ عثمانيَّةٍ مغربيَّة)

وقد دخلت على يديه الكريمتين إلى هذا

الفضاء الوثائقي من تاريخ ليبيا الحديث

تغمّده الله بواسع رحمته ورضوانه

محتوى القسم الأول من الدراسة

الفصل الأول

مدخلٌ نقديٌّ لرؤية المؤرِّخ محمد مصطفى بازامة

بروز قضية القولوغلية في آثاره:

1 ـ وثائق عن نهاية العهد القرمانلي (1965).

2 ـ الدبلوماسية الليبية في القرن الثامن عشر: عبد الرّحمن آغا البديري (1720 ـ 1792). (في السبعينات ـ د. ت).

3 ـ بنغازي متصرِّفليك (1994): (تاريخ برقة في العهد العثماني الأوّل / تاريخ برقة في العهد القرمانلي / تاريخ برقة في العهد العثماني الثّاني).

4 ـ الكراغلة بُناة العهد القرمانلي ومُقَوِّضوه ـ الجزء الاوّل: البناء. (مخطوط ـ 1988).

5 ـ حسونة الدغيّس: أول ساسة العرب العلمانيين. (مخطوط ـ 1996).

الفصل الثاني

الإنكشارية آباءُ القولوغلية

1 ـ الأصل اللغوي للمصطلح العثماني: (يكى چرى). [بالكاف النوني / والجيم المثلثة].

2 ـ النسيج الاجتماعي للإنكشارية.

3 ـ إحساس المؤرخ الجليل الدكتور م. م. زيادة بقلق الصيغة العربية للمصطلح.

4 ـ التطور اللفظي في العربية لمصطلح الإنكشارية.

الفصل الثالث

الدلالة المركزية العسكرية: أبناءُ الجند

أ ـ عودة إلى المؤرِّخ بازامة.

ب ـ مثالٌ دراسي من تحوُلات الدلالة في المعجم التاريخي.

الدلالة المركزية العسكرية

[المرحلة الأولى]

1 ـ من تشكيلات الدولة العثمانية: أوجاقات القابي قول ـ ج 1، أوجاق العجمية وأوجاق الإنكشارية، للمؤرخ إسماعيل حقّي أوزون جارشلي (1888 ـ 1977)، (أنقرة 1943).

2 ـ معجم التعابير والمصطلحات التاريخية العثمانية، للمؤرخ المعجمي محمد زكي باقالين (1886 ـ 1972)، في ثلاث مجلدات، صدر في طبعته الأولى خلال السنوات (1946 ـ 1956).

3 ـ دائرة المعارف الإسلامية (باللغة التركية ـ الإصدار الأول). المجلد السادس، (د. ت).

4 ـ الدولة العثمانية: تاريخ وحضارة. (الأصل التركي 1994، الترجمة العربية 1999).

5 ـ دائرة المعارف الإسلامية (باللغة التركية ـ الإصدار الثاني). المجلد 26 / سنة 2002.

في اللغة التركية والثقافة المعاصرة:

6 ـ المعجم التركي (طبعة جديدة، أنقرة 1988).

7 ـ معجم وموسوعة لاروس الكبرى (استانبول 1992).

8 ـ موسوعة كُتّاب تركيا (أنقرة 2001).

(ملحق عثماني مصوّر): ثلاث لوحات مختارة من كتاب: تاريخ عسكرىء عثماني: (التاريخ العسكري العثماني ـ الكتاب الأول: الإنكشارية من التأسيس إلى الإلغاء) ـ (استانبول / باريس 1299هـ / 1882م).

الفصل الرابع

الدلالة المغاربية العرقية: المولّدون

[المرحلة الثانية]

(أ) - ظاهرة المولّدين في التاريخ الإسلامي.

(ب) ـ غياب (ظاهرة) القولوغليّة في إيالات المشرق العربي العثمانية.

(ج) ـ التحوُلات السياسية في الإيالات المغاربية خلال العهد العثماني.

خلاصة تطور النظام السياسي في طرابلس العثمانية (جدول موجز).

المصادر التاريخية

1 ـ المصادر الوثائقية:

(أ) ـ الوثائق الأولى المبكرة عن ظهور شريحة القولوغليّة في الإيالات المغربية (من خلال دفاتر المهمّه).

(ب) ـ نماذج من أسماء القولوغليّة في مطلع العهد القرمانلي: (وفقاً لسجل محكمة طرابلس الشرعية: 1134 ـ 1140هـ / 1722 ـ 1727م): [جدول تراتبي موثّق].

2 ـ المصادر الأدبية.

(أ) ـ طرابلس:

1 ـ تاريخ مملكة طرابلس الغرب (في القرن السابع عشر)، للمؤرخ الطبيب الأسير جيرار البروفنصالي، ترجمة الدكتور عبد الحكيم الأربد. (تحت الطبع).

2 ـ التذكار فيمن ملك طرابلس و[مَنْ] كان بها من الأخيار، للمؤرخ محمد بن خليل ابن غلبون (حُرِّر نحو سنة 1145هـ).

3 ـ اليوميّات الليبية، للمؤرخ حسن الفقيه حسن (ت نحو سنة 1284هـ).

(ب) ـ تونس:

1 ـ ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، للمؤرخ حسين خوجة (ت 1145هـ / 1732م).

2 ـ المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي، للمؤرخ محمد الصغيّر بن يوسف الباجي (ت 1184هـ/ 1771م).

3 ـ الحوليات التونسية، للمؤرخ الفرنسي / القنصل / المستشرق البارون ألفونص روسو (1820 ـ 1870)، ترجمة الدكتور محمد عبد الكريم الوافي، بنغازي 1992.

(ج) ـ الجزائر:

1 ـ مذكرات أحمد الشريف الزهّار، المؤرِخ نقيب أشراف الجزائر (1196 ـ 1289هـ/ 1781 ـ 1872م).

2 ـ المرآة: (لمحة تاريخية وإحصائية على إيالة الجزائر)، للسياسي حمدان بن عثمان خوجة (1189 ـ 1255هـ/ 1775 ـ 1840م)، ترجمة الدكتور محمد بن عبد الكريم، بيروت 1972.

3 ـ مرآت الجزائر: [لابنه: علي رضا باشا، أحد ولاة طرابلس في العهد العثماني الثاني الذي وضعه بالعربية، الترجمة العثمانية ـ استانبول 1293هـ].

الفصل الخامس

الدلالة الطرابلسية الوظيفية: المخازنية / قبائل المخزن

[المرحلة الثالثة]

(1 – 5)

فترات العهد العثماني الثاني ومصادرها الدّالة على المصطلح

1 ـ فترة الإيالة (1251 ـ 1282هـ / 1835 ـ 1865م):

اليوميّات الليبيّة ـ الجزء الثالث (حسن الفقيه حسن).

أ ـ الكوارغلية الأصليون.

ب ـ بدايات الاختلاط / المزج بين القولوغليّة وبعض القبائل القريبة.

ج ـ ظهور المصطلح المحلي / الوظيفي: (الكوارغليّة من أولاد العرب).

د ـ التجنيد / والمهمّات.

2 ـ حركة التحوُّل من الإيالة / إلى الولاية (1282هـ / 1865م):

ـ مسألة القولوغليّة:

ـ وثيقة ذاتية لتحديد قبائل القولوغليّة الوظيفيّة (بالأرشيف العثماني): وثيقة (1). وثيقة (2).

3 ـ فترة الولاية إلى إلغاء امتيازات القولوغليّة (1865 ـ 1902م):

1 ـ العدد الأول من صحيفة طرابلس غرب (1283هـ / 1866م).

2 ـ سالنامات ولاية طرابلس (1286 ـ 1312هـ / 1869 ـ 1894م).

التشكيلات الإدارية للقولوغليّة / الوظيفيّة في سالنامات ولاية طرابلس.

3 ـ مخطوط عسكري عثماني (1308هـ / 1306 مالية / 1890م).

4 ـ مطبوعة (معلومات) العثمانية (1315هـ / 1897م).

5 ـ من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، مؤلِّفه عبد القادر جامي (1877 ـ 1958م): إفادة خاصّة عن قولوغليّة فزان / المخازنية. (الأصل العثماني، استانبول 1326 / 1910م؛ الترجمة العربية، طرابلس 1974م).

6 ـ تاريخ طرابلس الغرب، مؤلِّفه: حسن صافي. (بالتركية العثمانية، استانبول 1328 مالية / 1912م).

(2 – 5)

تقلُّص الدلالة الطرابلسية إلى سابقتها المغاربية

[المرحلة الرابعة]

ـ إلغاء امتيازات القولوغلية (1902م).

ـ طرابلس الغرب، للأخوين المؤرخين محمد نوري ومحمود ناجي. (الأصل العثماني، استانبول 1330 / 1912م؛ الترجمة العربية، بنغازي 1970م، طرابلس 1973م).

(3 – 5)

خلاصة جامعة لمصطلح القولوغليّة

(4 – 5)

الدراسات المعاصرة والدلالة الوظيفيّة الطرابلسيّة لمصطلح القولوغليّة

1 ـ سكان طرابلس الغرب. للمؤرخ الليبي العثماني المخضرم إسماعيل كمالي (1883 ـ 1936م).

2 ـ وثائق عن نهاية العهد القرمانلي. للمؤرخ نفسه، نشره في (مجلة المستعمرات الإيطالية) سنة 1930، ثم نقله إلى العربية الأستاذ محمد مصطفى بازامة، وعلّق عليه وجعل منه كتاباً (بيروت 1965).

3 ـ الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية. مؤلِّفه عزيز سامح إلتر (1877 ـ 1948)، بالتركية الحديثة في مجلدين (استانبول 1936 ـ 1937م)، نقل المؤرخ الأستاذ عبد السلام أدهم (1902 - 1980م) القسمين المتعلقين بطرابلس وتونس، (بيروت 1969)، ثمّ أتمّ الدكتور محمود علي عامر ترجمة القسم الباقي المتعلق بالجزائر، (بيروت 1989).

4 ـ ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي أو طرابلس الغرب في آخر العهد العثماني الثاني (1881 ـ 1911م)، للدكتور أحمد صدقي الدجاني، (القاهرة 1971).

5 ـ الإعفاءات الضريبية في ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي وظهور الأعيان (1835 ـ 1902م)، بحث للدكتور عقيل البربار: المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 7 - 8 (تونس، أكتوبر 1993).

6 ـ نسلٌ عثماني في شمالي أفريقيا: القولوغلية. بحث بالتركية للدكتور أحمد قواص، نشر في مجلة: الدراسات العثمانية، (استانبول 2001).

7 ـ دائرة المعارف الإسلامية (باللغة التركية ـ الإصدار الجديد). المجلد 26 (2002): (مادّتان عن القولوغليّة في الإصدار الجديد لدائرة المعارف الإسلامية باللغة التركية: لوحتان).

8 ـ القبيلة والإسلام والدولة. كتاب للدكتور فرج عبد العزيز نجم، (القاهرة 2005م).

(ملحق لغوي ختامي للدراسة)
جدول تراتبي لتصنيف المصادر وفق دلالة مصطلح
القولوغليّة في فضائه العثماني منذ ظهوره إلى اليوم

تقديم

الحمد لله حق حمده.

والصلاة والسلام على خير خلقه.

(1)

ندوة المؤرخ (2002)

نظّم **مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية** ندوته العلمية عن المؤرخ الجليل الأستاذ محمد مصطفى بازامه (1923 ـ 2000)، رحمه الله تعالى، سنة (2002) عقب وفاته. وقد جاء في **(المقترح النظري لمحاور الندوة)** الذي أدرجته ضمن **(مطويتها)** المنشورة في الكتاب، "**المحور الثاني**: **الآثار والمنهج (دراساتٌ وقراءاتٌ نقديةٌ في منهجه وآثاره التاريخية)**، ومنها العنوان الفرعي الثاني: "**دراسة نقدية عن إحدى القضايا التاريخية الجزئية البارزة التي عُني بها المؤرخ في كتابٍ أو أكثر من آثاره**".

ومن هنا بدأت هذه المحاولة الدراسية المطوّلة، (بصياغةٍ أوليّةٍ قصيرة)، كانت تستهدف في حينها تقديم قراءة نقديّة محدودة في رؤية المؤرخ **(لمصطلح القولوغلية: بحمولته اللغوية / والاجتماعية)**، ولكنّها لم تُلقَ آنذاك في اليوم الختامي للندوة، وظلّت مطوية إلى أن صدر كتاب الندوة ضمن

منشورات المركز سنة (2013)، واكتفيت هناك / آنذاك بنشر هذا المدخل النقدي لرؤية المؤرخ من الدراسة في صياغته الموجزة، ولا يخفى أنّني استفدتُ جدّاً من معاودة النظر والتنقيح المكرّر خلال السنوات اللاحقة.

(2)

لجنة السكان (2006)

كما أودُّ الإشارة ـ من جهةٍ أخرى ـ إلى تشكيل **(لجنة لدراسة سكان ليبيا)** في المركز نفسه خلال سنة (2006م)، وقد كنتُ أحد أعضائها، واخترتُ آنذاك أيضاً هذا الموضوع **(القولوغلية في ليبيا)**؛ حرصاً على مزيدٍ من المتابعة.

(3)

الموسم الثقافي (2012)

وهنا أودُّ أن أشير إلى ذلك الهاجس المنهجي الذي يغمر خاطري؛ وقد يفسِّر هذا الفارق الجليّ بين السنوات، وخلاصته: "أنّ البحث طبخةٌ ذهنية، قبل أن يكون تحريراً على الورق". ويبدو أنّ موالاة المتابعة لم تذهب هباء، فقد أفضت بي في آخر الأمر إلى إعداد دراسةٍ مطوّلةٍ تمّ عرضها بمحاضرة عامة دسمة، ضمن الموسم الثقافي في المركز (خلال شهر يناير 2012)، وكنت آنذاك أرجو أن تخرج أخيراً في (كتاب مستقل).

(3)

المؤتمر الثامن عشر للدراسات العثمانية (تونس 2019)

وقد تعثر اليوم أمر النشر الورقي، كما يعلم القارئ الكريم، وبدأ يختنق في سياقيه العام / والخاص؛ لذا آثرت خلال سنة (2019) أن أخصّ هذا القسم (الأول من الدراسة) بنشرةٍ مستقلة؛ وهو يُعنَى غالباً (**بمناقشة الجانب اللغوي وتحوُّلات دلالة المصطلح**) ما بين: مركز الدولة العثمانية أولاً / وإيالاتها المغاربية عامة / وولاية طرابلس ـ على وجه الخصوص، اغتناماً لانعقاد (**المؤتمر الثامن عشر للدراسات العثمانية**) بتونس الشقيقة، ومن هنا خصصت (النشرة التونسية) بهذا العنوان الفرعي الموضوعي: (**مع معطياتٍ مقارنةٍ في تونس والجزائر**)، وهي من مشمولات الدراسة الأصلية، على أن تُضمّ إليها بقيّة الفصول المتعلِّقة بالجانب التاريخي المحلي في (نشرة الكتاب) اللاحقة ـ بإذن الله تعالى ـ وفق هذا العنوان الجامع لقسمي الدراسة: (**القولوغليّة في ليبيا: تأصيلٌ لغويٌّ / تاريخيٌّ لمصطلحٍ عثمانيّ، ومقاربةٌ أوليّةٌ لشريحةٍ من السكان**).

(4)

نشرة رقميّة ميسّرة (2021)

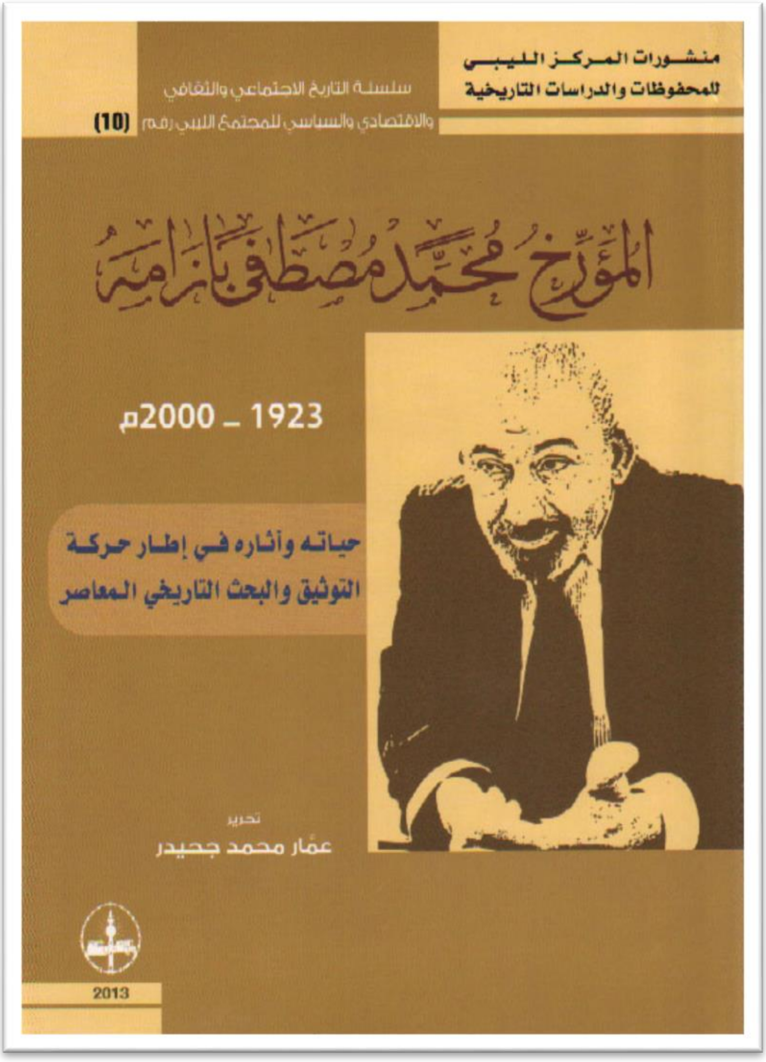
ومع تقديري العميق لفضل أستاذي المؤرخ الحركي الجليل الدكتور عبد الجليل التميمي الذي آثرني بتبني نشر هذه الصياغة المطوّلة للقسم الأول من الدراسة كما قدّمتها إلى المؤتمر العلمي المذكور، فإنّ الحقيقة الجليّة التي ينبغي أن أشير إليها تتمثل في محدودية النسخ المطبوعة من المجلة العلمية القيّمة (80 نسخة فقط)، وضآلة فرص تداولها بين القراء والباحثين في ليبيا

ـ على وجه الخصوص؛ لذا ازددت خلال هذه السنة (2021) اقتناعاً بضرورة المبادرة إلى تقديم (النشرة الرقمية) التي بين يديك الكريمتين، وهي تضمُّ القسم الأول من الدراسة الذي تمّ التركيز فيه على (البعد اللغوي للمصطلح) في تحوُّلاته المتتالية، وأسأل الله تعالى تيسير نشر القسم الثاني منها الذي انصرفت فيه إلى متابعة النسيج الاجتماعي لهذه الشريحة الواسعة الطارئة الناشئة، ممثلة لـ(ظاهرة المولّدين) خلال تاريخنا الحديث، من شرائح السكان.

وأودُّ صادقاً أن تنأى القراءات والنظرات إلى هذه المحاولة الدراسية المحرّرة في سياقها البحثيّ المهنيّ المحض، عن كل التأويلات والاسقاطات الإعلامية والسياسية التي لا تزال تكتنف فضاءنا الاجتماعي اليوم بالكثير من الأقوال والآراء والدعاوى المرسلة، عن هذه الفترة المكتنزة بالأصول والوثائق من تاريخنا الحديث والمعاصر، هنا / وهناك.

ويطيب لي في الختام أن أسدي جزيل شكري وتقديري إلى أخي الفاضل الكاتب الأديب (رائد الطيوب)، الأستاذ رامز النويصري على عنايته الكريمة بنشر هذه الدراسة، بين العديد من النصوص والمقالات والدراسات التي ظلّ يوالى زخم عطائها منذ أكثر من عشرين عاماً، وفقه الله تعالى إلى المزيد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تاجوراء. الاثنين 28 ـ 6 ـ 2021.



ندوة المؤرخ (**2002**): قُدِّمت إليها الصياغة الأوليّة الموجزة،

ولم تلقَ في حينها / ونُشرت ضمن أعمال الندوة (**2013**)

القولوغلية في ليبيا
تأصيلٌ لغويٌّ ـ تاريخيٌّ لمصطلحٍ عثماني
(مدخلٌ نقديٌّ لرؤيةِ المؤرِّخِ محمد مصطفى بازامه)

■ عمار محمد جحيدر

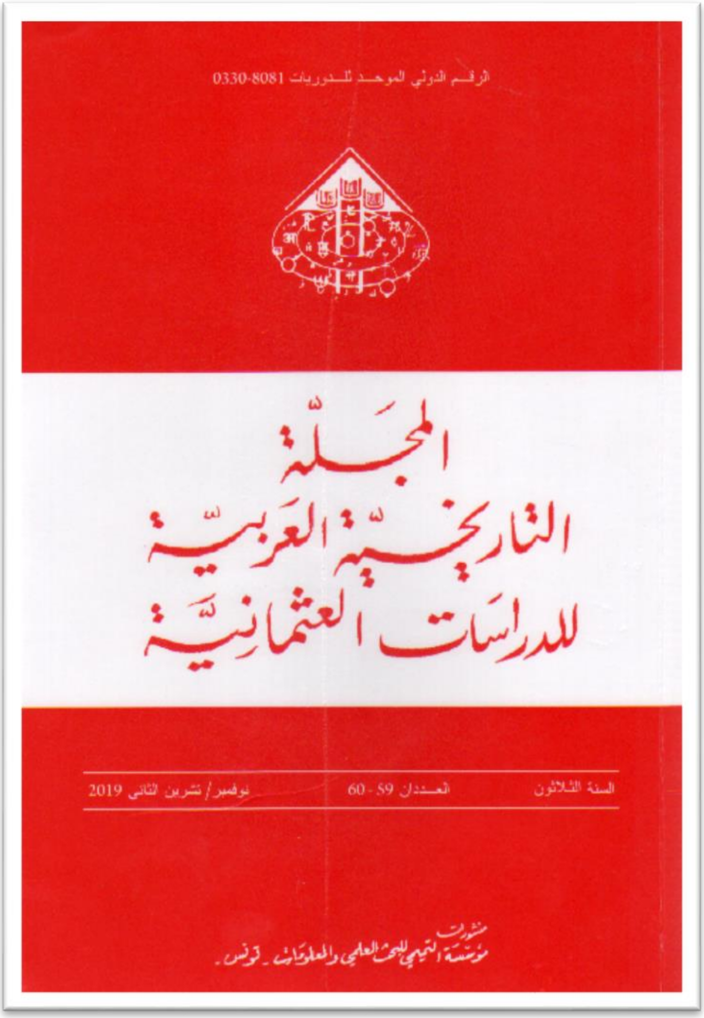
[مساهمةٌ لم تُلقَ في الجلسة العلمية الأخيرة][1]

1 ـ بروز قضية القولوغلية في آثاره:

تبرزُ لدَى أيِّ مؤرخٍ قضيةٌ تاريخيةٌ أو أكثرُ من القضايا المهمّةِ التي يوليها قدراً ملحوظاً مِن العنايةِ والدرسِ والمتابعةِ، حتى تغدوَ من همومهِ العلميةِ أو الثقافيةِ المُلِحّةِ على ذهنيتِهِ، ويبدو لي أنَّ (**القولوغلية في ليبيا**) من أبرزِ القضايا التي عُنِيَ بهَا المؤرِّخُ محمد مصطفى بازامه (1923 – 2000) ولازمتهُ في مراحلَ متتاليةٍ من عمرِهِ العلمي، وسنرَى أدناهُ أنَّ هذا الهاجسَ البحثيَّ قد ظلَّ يملأُ فكرَهُ حتى خصَّهُم بأحدِ كتبِهِ التي أنجزهَا في سنواتِهِ الأخيرةِ، وظلَّتْ مخطوطةً لمْ تُنشَرْ حتّى وفاتِهِ ـ رَحِمَهُ الله تعالى.

(1) نظراً إلى ازديادِ بعضِ المساهماتِ الإضافيةِ في الجلسةِ العلميةِ الأخيرةِ من جهةٍ، وضيقِ الوقتِ في انتظارِ الجلسةِ الختاميةِ اللاحقةِ من جهةٍ أخرى؛ آثرتُ آنذاكَ التخلي عن حقي في إلقائها كسباً للوقت.
وأودُّ الإشارة أيضاً في هذا المقام إلى أنّني حرصتُ على تطويرِ هذه المساهمة من منطلقين:
أ ـ الالتزام أولاً بموضوع الندوة؛ لذا كان أولها (**مدخل نقدي لرؤية المؤرخ محمد مصطفى بازامه**).
ب ـ كما تمّ بالمركز فيما بعد ـ من جهةٍ أخرى ـ تشكيلُ (**لجنة لدراسة سكان ليبيا**) في سنة (2006) وكنتُ أحدَ أعضائها، واخترتُ آنذاك هذا الموضوع (**القولوغلية في ليبيا**) لتقديم خلاصةٍ عنه، وأرجو أخيراً أن تكون هذه المساهمة المتواضعة التزاماً مهنياً لاحقاً بذلك الاختيار.
وعندما طال البحثُ آثرتُ أخيراً نشره كاملاً في (**كتابٍ مستقل**) مكتفياً في هذا المقام (**بالمدخل النقدي**) المدرج أعلاه الذي كان منطلقاً لعنايتي بهذا المصطلح العثماني الشائع جداً في أدبيات تاريخنا الحديث.

مشاركة مطويّة (**2002 ـ 2013**)



نُشر بها القسم الأول من الدراسة ضمن: أعمال المؤتمر الثامن عشر للدراسات العثمانية

السنة الثلاثون / العدد **59 ـ 60** (تونس ـ نوفمبر **2019**)

القُولُوغْليّة في ليبيا : تأصيلٌ لغويٌ / تاريخيٌ لمصطلحٍ عثماني
(مع معطيات مقارنة في تونس والجزائر)

عمار محمد جحيدر
مجمع اللغة العربية – طرابلس

أولا : مدخلٌ نقديٌ لرؤية المؤرّخ محمد مصطفى بازامة

تبرز لدى أيّ مؤرخٍ قضيةٌ تاريخيةٌ أو أكثر من القضايا المهمّة التي يوليها قدراً ملحوظاً من العناية والدرس والمتابعة، حتى تغدو من همومه العلمية أو الثقافية المُلحّة على ذهنيته، ويبدو لي أنّ (**القولوغلية في ليبيا**) من أبرز القضايا التي عُنيَ بها المؤرّخ محمد مصطفى بازامة (1923 – 2000م)، ولازمته في مراحل متتاليةٍ من عمره العلمي، وسنرى أدناه أنّ هذا الهاجس البحثي قد ظلّ يملأُ فكره حتى خصّهم بأحد كتبه التي أنجزها في سنواته الأخيرة، وظلّت مخطوطةً لم تُنشر حتى وفاته، ويمكن القول ابتداءً إنّ المؤرخ قد عرض لهذه القضية بتفاوتٍ جليٍّ في الطرح والتفسير في أعماله التالية:

1- **وثائق عن نهاية العهد القرمانلي** : وهو في أصله بحثٌ وثائقي قيّم، قدّمه المؤرّخ الليبي / العثماني المخضرم إسماعيل كمالي (1883-1936م)، منجّماً في ثلاثة أعدادٍ من (**مجلة المستعمرات الإيطالية**) سنة 1930م، وعرّبه وعلّق عليه (وجعل منه كتاباً) الأستاذ محمد مصطفى بازامة بما أضافه إليه من الحواشي القيّمة العديدة، (بيروت 1965م)، 147 ص.

2- **الدبلوماسية الليبية في القرن الثامن عشر : عبد الرّحمن آغا البديري** (1720 – 1792م) الصادر في السبعينات (بنغازي دون تاريخ)، 227 ص.

3- **بنغازي مُتصرّفليك : (تاريخ برقة في العهد العثماني الأول / تاريخ برقة في العهد القرمانلي/ تاريخ برقة في العهد العثماني الثاني)**. وهو عملٌ مطوّلٌ يبدو أنّه قد

مشاركة مطوّلة (تونس **2019**)

من تقديم المؤرخ الدكتور عبد الجليل التميمي لهذا العدد الذي يضمُّ أعمال (المؤتمر الثامن عشر للدراسات العثمانية) في: المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية: اسهاماتٌ بحثيّة على مدى ثلاثين عاماً (1990 ـ 2019)

***

يطيب لي في هذا المقام الأثير أن أقتبس تلك السطور الكريمة التي خصّ بها هذه المحاولة الدراسية أستاذي المؤرخ الكبير (رائد الدراسات العثمانية في الفضاء المغاربي) الأستاذ المتميِّز عبد الجليل التميمي، الذي تتلمذت على كتبه ومجلاته، وحراكه ومؤتمراته، وتشبّعت حقّاً بنزعته الوثائقيّة الحفيّة الجليّة. وذلك فضلاً على ما أفدته من التجربة البحثيّة الثريّة بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخيّة.

***

يقول الأستاذ التميمي في تقديمه لهذا العدد من مجلته العلميّة القيّمة:

(وفي المقابل فإنّ من أهمِّ ما تتضمّنه أعمال مؤتمرنا هذا بحث الأستاذ عمار جحيدر حول القولوغليّة أو الكراغلة، وهم ثمرة الزواج بين أتراك وليبيات، وقد أجرى خلاله الباحث حفريات حقيقية لغوية واجتماعية وسياسية، ولم يكتفِ بالفضاء الليبي، وإنّما قام بمقاربات مقارنة مع المجالين التونسي والجزائري المجاورين).

القُولُوغْلِيّة في ليبيا
تأصيلٌ لغويٌّ / تاريخيٌّ لمصطلحٍ عثماني
(مع معطياتٍ مقارنةٍ في تونس والجزائر)

الفصل الأول

مدخلٌ نقديٌّ لرؤية المؤرِّخ محمد مصطفى بازامة

تبرز لدى أيّ مؤرخٍ قضيةٌ تاريخيةٌ أو أكثر من القضايا المهمّة التي يوليها قدراً ملحوظاً من العناية والدرس والمتابعة، حتى تغدو من همومه العلمية أو الثقافية المُلِحّة على ذهنيته، ويبدو لي أنّ (**القولوغلية في ليبيا**) من أبرز القضايا التي عُنِيَ بها المؤرِّخ محمد مصطفى بازامة (1923 – 2000م)، ولازمته في مراحل متتاليةٍ من عمره العلمي، وسنرى أدناه أنّ هذا الهاجس البحثي قد ظلّ يملأُ فكره حتى خصّهم بأحد كتبه التي أنجزها في سنواته الأخيرة، وظلّت مخطوطةً لم تُنشر حتى وفاته - رحمه الله تعالى - ويمكن القول ابتداءً إنّ المؤرخ قد عرض لهذه القضية بتفاوتٍ جليٍّ في الطرح والتفسير في أعماله التالية:

1 ـ وثائق عن نهاية العهد القرمانلي. وهو في أصله بحثٌ وثائقي قيّم، قدّمه المؤرِّخ الليبِي / العثماني المخضرم إسماعيل كمالي (1883 – 1936م)، منجّماً في ثلاثة أعدادٍ من (**مجلة المستعمرات الايطالية**) سنة 1930م، وعرّبه وعلّق عليه (وجعل منه كتاباً) الأستاذ محمد مصطفى بازامة بما أضافه إليه من الحواشي القيّمة العديدة، (بيروت 1965م)، 147 ص.

2 ـ الدبلوماسية الليبية في القرن الثامن عشر: عبد الرّحمن آغا البديري (1720 ـ 1792م) الصادر في السبعينيات (بنغازي دون تاريخ)، 227 ص.

3 ـ بنغازي مُتصرِّفليك: **(تاريخ برقة في العهد العثماني الأول / تاريخ برقة في العهد القرمانلي / تاريخ برقة في العهد العثماني الثاني).** وهو عملٌ مطوّلٌ يبدو أنّه قد فرغ منه في أواخر الثمانينيات[1]، وصدر في ثلاثة أجزاء على النحو المذكور (قبرص 1994م)، 488، 357، 572 ص.

4 ـ الكراغِلة بُناة العهد القرمانلي ومُقوّضوه ـ الجزء الأول: **البناء.** مخطوط (كاليري ـ إيطاليا 1988)[2]. وقد وقفتُ على نسخةٍ من الجزء الأول (فقط) مرقونة على الحاسوب في 192 ص.

5 ـ حسونة الدغيّس: **أول ساسة العرب العلمانيين.** مخطوط (أنهى تدوينه الأول في صباح الأربعاء 15 - 8 - 1996م)[3]، 251 ص.

وقد شدّ انتباهي ما لاحظته من تطوُّرٍ جليٍّ في رؤية المؤرخ لنشأة هذا المصطلح، وهو ما دفع بي - في واقع الأمر - إلى تحرير هذه المساهمة المتواضعة ضمن أعمال ندوته العلمية (بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية - طرابلس 2002م)[4].

وفي الكتاب الأول من هذه المجموعة من آثار المؤرخ المعنية في هذا السياق **(وثائق عن نهاية العهد القرمانلي ـ 1965)**، تبرز ثلاث قضايا تاريخيّة

---

[1] - جاءت في نهاية الجزء الأوسط عبارة الختام التالية: (تمّ تدوينه في 10 - 6 - 1987).

[2] ـ وفقاً لإفادة الأستاذ الفاضل أحمد القلال في مساهمته القيّمة عن المؤرخ (**محمد مصطفى بازامة وتراثه المخطوط**)، ضمن أعمال ندوته.

[3] - وفي إفادة الأستاذ القلال المشار إليها أعلاه: (لارنكا، قبرص 1996).

[4] - صدرت أعمال الندوة، ضمن منشورات المركز سنة 2013 ... (انظر التقديم).

في هذا المقام، ويبدو جليّاً أنّ نصّ (المتن) في هذا الكتاب، وإن جاء متفاوت الإشارة إليها، كان منطلقاً أوليّاً لنمو هذه القضايا التاريخية لدى المؤرخ محمد مصطفى بازامة في آثاره اللاحقة؛ وهذه القضايا هي: (**القولوغليّة / والحزب السياسي / والثورة والزعيم**). وقد تطوّرت عنايته بهذه القضايا التاريخية، ونشأ بينها ارتباطٌ عُضويٌّ مُركّبٌ؛ وذلك أنّ القولوغليّة هي القضيّة الأساسية في هذا السياق لديه، في حين كان الحزب والثورة رافدين مكمِّلين لبناء تصوُّره، ولم يَخْصَصْهُما -كما خصّ القولوغلية ـ ببحثٍ مستقل[5].

وقد لاحظتُ في هذا السياق الدراسي المقارن أنّ كثيراً من فقرات **كتابه المخطوط عن (الكراغلة)** مقتبسةٌ حرفياً / أو شبه حرفي، من عمله السابق عن تاريخ برقة في العهد العثماني الأول والعهد القرمانلي؛ وهذا مما يؤكِّد أنّ كتابه الأخير الذي لم يُنشرْ بعد، يُعَدُّ في الغالب (**نصوصاً مختارةً**) من عمله السابق؛ استخلصها / وحوّرها / وزاد عليها / وجعل منها كتاباً مستقلاً، يفصح بجلاء عن تطور عنايته المطّردة بهذه القضية التاريخية، وقد كانت من أبرز القضايا التي شغلت (ذهنية المؤرخ) لديه كما تقدّم أعلاه.

5 - آثرتُ هنا حذف الاستطراد إلى مسألتي (**الحزب السياسي، والثورة والزعيم**) اختصاراً، وخلاصة القول إنّ الأستاذ بازامة يرى وجود التنظيم الحزبي في العهد القرمانلي، وأنّ أحمد باشا المؤسس كان زعيماً / ثائراً يستهدف التغيير، ولم يكن قائد انقلاب عسكري كغيره من ضباط الإنكشارية السابقين. (انظر: المزيد من التفاصيل في ندوة المؤرخ، ص 711 ـ 720).

ويقع هذا العمل المخطوط في جزأين، ولم أقف إلا على (**الجزء الأول ـ البناء**) الذي جاء في نحو (180)[6] صفحة مطبوعة على الحاسوب، وقد بناه المؤرخ على الفصول التالية:

- **المدخل**: **فرش تاريخي عام** (13 ـ 29).
- **الفصل الاول**: **التعريف بالكراغلة** (31 ـ 55).
- **الفصل الثاني**: **الأسرة القرمانلية** (57 ـ 84).
- **الفصل الثالث**: **الحزبية والثورة والزعيم** (85 ـ 108).
- **الفصل الرابع**: **أحداث ما بين الساقزلي وخليل** (109 ـ 124).
- **الفصل الخامس**: **أحداث ما بين إبراهيم وأحمد القرمانلي** (125 ـ 171).
- **الخاتمة** (173 ـ 189).

وينبغي التذكير في هذا السياق بإشارة المؤرخ في ختام مدخله إلى أنّه لا يريد أن يقدِّم من خلال هذه الدراسة تاريخ العهد العثماني الأول ولا تاريخ الدولة القرمانلية، إلا في تلك الحدود التي لا مفرّ منها لشرح دور الكراغلة في نشأة الدولة ... والقضاء عليها[7].

وقد افتتح المؤرخ حديثه عن الكراغلة في الفصل الأول من عمله المخطوط بمجمل النقاط التالية:

---

[6] - باستثناء الصفحات البيضاء التي تتخلل تلك التجربة الطباعية.

[7] - **الكراغلة**، ص 29.

1 ـ أنّ الكراغلة - وهي صيغة الاسم المفضّلة لديه[8] - كما هم اليوم، وحدة اجتماعية قبليّة أو شبه قبلية، متناثرو الديار في سائر القطر الليبي، ومع أنّهم يُعَدُّون بطوناً وأفخاذاً كغيرهم من القبائل؛ فإنّهم كجماعات ليست في أصلها بقبيلة، وينقصها ذلك الرباط العرقي الحقيقي أو المتوهّم.

2 ـ أنّ الكراغلة جماعة وُجدت في تونس والجزائر أيضاً، وكان بروزها في نفس هذه الفترة في الأقطار الثلاثة، ولكنّهم لا وجود لهم في أيِّ مكانٍ آخر من أقطار الوطن العربي، ولا في بلد الأتراك أنفسهم [كذا ؟]، وهم كظاهرة اقتصر وجودهم وتسميتهم على هذه الأقطار الثلاثة فقط.

3 ـ ليس لهم كفئةٍ اجتماعيةٍ وجودٌ سابقٌ على القرن السادس عشر؛ ولذلك فإنّ جهود الباحثين حولهم قد تركّزت في العهد العثماني.

4 ـ هذه التسمية (كراغلة) ليست من أصل عربي، لا في الفصحى ولا في اللهجات المحليّة في أيٍّ من هذه الأقطار؛ ولذلك انصرفت جهود الباحثين في (اتيمولوجية) الاسم إلى البحث عن أصل لها في اللغة التركية...الخ[9].

وقد استوقفني ـ على وجه الخصوص ـ هذا التحوُّل الطارئ في تفسير المؤرخ لمصطلح القولوغلية الذي نجده في هذه الدراسة، خلافاً لما تقدّم لديه في أعماله السابقة؛ ولذلك سأحاول في هذه المساهمة التركيز غالباً على (**البُعْد اللغوي**) لهذه المسألة.

---

[8] - المصدر نفسه، ص 38 ـ 39.

[9] - المصدر نفسه، ص 33 ـ 34.

ففي كتابه السابق الموسّع عن تاريخ برقة في العهد العثماني، وهو من أبرز أعماله التي عرض فيها لقضية القولوغلية، لا نجد لدى المؤرخ أدنى خروج يُذكَر عن التفسير اللغوي / التاريخي المعروف المتداول لهذا المصطلح، فقد ناقش في جزئه الأول تحت هذا العنوان الفرعي (**الكتلة القول أوغلية / الكراغلة**) إفادات: **ابن غلبون، وعزيز سامح، ومحمود ناجي، والمؤرخ الجزائري مبارك الميلي، وإتوري روسي، ودي أغسطيني، وإسماعيل كمالي، وشارل فيرو** حول هذا المصطلح؛ ليخرج بهذه النتيجة: "ومن جميع هذه الروايات العربية والتركية والإيطالية والفرنسية، نصل إلى القول إنّ القولوغلية أو الكوارغلية إنّما هم أبناءُ الجند من زوجاتهم الوطنيات..."[10]. كما يشير الأستاذ بازامة إلى الصراع السياسي في أواخر العهد العثماني الأول، وقد كان من بين عناصره فيما يذكر "الكراغلة من أبناء الجند الذين ليس لهم انتماء ولا ولاء لغير نفس الإقليم، حتى وإن كانوا عرقياً من أبناء الإنكشاريين الأتراك"[11].

غير أنّ هذه العبارة الصريحة في ردِّ القولوغلية إلى أصولهم المعروفة تاريخياً، لم تلبث أن تحوّلت وتبدّلت إلى سياقٍ جديد في كتابه الأخير (المخطوط) الذي خصّصه للكراغلة، وقد اتكأ في كثير من مادته على عمله السابق ـ كما تقدّم أعلاه ـ فقد حُوِّرت هذه الفقرة المقتبسة منه لتصبح:

---

[10] - **تاريخ برقة في العهد العثماني الأول**، ص 382 ـ 385.

[11] - **المصدر نفسه**، ص 457.

"الكراغلة من أبناء متطوِّعة الجند الذين [ليس] لهم انتماء ولا ولاء لغير ذات القطر الليبي، حتى وإن عُدُّوا آنذاك، لأصل الأبوة، وحدة اجتماعية بين بين"[12]. وهكذا نجد في هذه الصياغة الأخيرة تحوُّلاً جديداً في تفسير المصطلح من **(أبناء الجند)** إلى **(أبناء متطوِّعة الجند)**، مع ما يشوبه من الغموض والتردد.

وتحت هذا العنوان الفرعي **(الكرغلي: ابن أيِّ جندي ؟)** يخلص إلى القول بوجود جيش آخر غير الجيش الإنكشاري طوال العهد العثماني، وهو منفصلٌ عنه بكيانه ومنافسٌ له في السيطرة والسلطان، ويسمِّي هذا الجند باسم (متطوِّعة الجهاد)، ليذكر في هذا السياق أيضاً: "أنّ الكراغلة إذن هم أبناء الجند، ولكنّهم ليسوا بأبناء الجند الإنكشاري"[13]. ويستطرد في موضع لاحق بعنوانٍ مزيد **(تحوُّل الصراع إلى غربي المتوسط)**، ليخلص إلى القول: "وإلى هؤلاء المجاهدين المرابطين والعاملين على السفن وجنداً ننسبُ الكراغلة، فهم أبناء هؤلاء وليسوا بأبناء الجند النظامي أو الإنكشاري، ولكنّ كُتّاب الغرب وباحثيهم ومؤرخيهم قد خلطوا هذا بذاك وعدُّوا كلّ جندي تركي من الإنكشاريين"[14].

غير أنّه يبدو جليّاً أنّ الأصل العرقي المعروف للأسرة القرمانلية، وهي في طليعة القولوغلية، يجعل هذا التفسير الجديد للمصطلح في (مأزقٍ حرجٍ)؛

---

[12] - **الكراغلة**، ص 123.

[13] - **المصدر نفسه**، ص 51.

[14] - **المصدر نفسه**، ص 73.

بين القول بأنّهم أبناء الجند، كما عُرفوا قديماً في أقدم المصادر الأدبية، وهو كتاب (**التذكار**)[15]، والقول بأنّهم أبناء متطوِّعة الجهاد، كما ظهر أخيراً لدى المؤرخ بازامة ؟ ولذلك نجد هذا القلق مستمراً بموضعٍ قريب لاحق في قوله: "أحمد القرمانلي، الليبي بالأم، الكرغلي بالمولد والتصنيف، التركي بالأصل الأبوي البعيد"[16].

وخلاصة القول في هذا السياق الدراسيّ المقارن إنّ هذا التفسير الجديد الطارئ لمصطلح القولوغلية لدى المؤرخ بازامه قد جاء مغايراً لما استقرّ عليه في آثاره السابقة التي استغرق إنجازها سنواتٍ طويلةً من عمره الثقافي ؟ ومهما يكن الأمر فإنّ هذا السياق يدعو إلى مزيدٍ من الدقّة والضبط في تفسير هذا المصطلح التاريخي؛ انطلاقاً من (ايتمولوجية) الكلمة نفسها، كما أشار المؤرخ نفسُه أعلاه. ولا شك أنّ التأصيل اللغوي / التاريخي للمصطلح في نشأته الأولى، ومتابعة التطوُّر في دلالاته اللاحقة من خلال النصوص القديمة / والدراسات المعاصرة، خيرُ سبيلٍ إلى إيضاح هذه المسألة.

---

15 - محمد بن خليل بن غلبون، **التذكار فيمن ملك طرابلس و[مَنْ] كان بها من الأخيار**، عُني بتصحيحه والتعليق عليه الطاهر أحمد الزاوي. ط 3 بيروت: دار المدار الإسلامي، 2004، ص 224.

16 - **الكراغلة**، ص 161.

الفصل الثاني
الإنكشارية آباءُ القولوغلية

وبالنظر إلى ما هو شائعٌ في الأدبيات التاريخية من الربط بين مصطلحي الانكشارية والقولوغلية؛ فإنّني أودُّ أن أقف قليلاً في هذا السياق ـ من منظورٍ لغويٍّ غالباً ـ عند المصطلح الأول؛ لأنّه الأصل الذي وُلدت منه، ونُسبت إليه شريحة القولوغلية.

1 ـ الأصل اللغوي للمصطلح العثماني:

الإنكشارية صيغةٌ محرّفةٌ للمصطلح العسكري العثماني: يڭى جرى؛ وهو مركّبٌ وصفي من كلمتي: (يڭى) بالكاف النوني في العثمانية الذي يُميّزُ بثلاثِ نقطٍ فوقه، وفي التركية الحديثة (Yeni) بمعنى الجديد، و(جرى) بالجيم الفارسية / العثمانية المثلثة المزيدة الجامعة في النطق بين التاء والشين، وفي التركية الحديثة (Ceri) بمعنى الجند، والمعنى المركّب: **الجند الجديد**، بتقديم الصفة على الموصوف في الأصل. وقد يُدمَجُ المصطلح

المركّب في الرسم الإملائي كذلك على النحو التالي: يكيجرى[17]. وفي الإملاء العربي المعاصر: (ينيجري ـ بالجيم المثلثة ـ أو ينيتشري؛ وفقاً للفظه المنطوق).

2 ـ النسيج الاجتماعي للإنكشارية:

يعود تأسيس الإنكشارية إلى السلطان أورخان بن عثمان (1326 ـ 1360م) في بداية الدولة العثمانية[18]، وقد أُقيم هذا الجيش الجديد على ضريبة الغلمان الذين يتحوّلون إلى الإسلام وينشؤون بعد تربيةٍ خاصةٍ على التمسُّك بالإسلام والتعلُّق بالدولة العثمانية، ثم يُوزّعون وفق لياقتهم البدنية، وقدراتهم العقلية بين: العمل في القصور السلطانية، وشغل الوظائف المدنية الكبرى في الدولة، والتجنيد في الإنكشارية[19]. وينبغي أن نقف في هذا السياق على انتماءاتهم الجهوية بين رعايا الدولة العثمانية، حتى ندرك ذلك النسيج الاجتماعي المتنوِّع الذي جاء منه ـ في واقع الأمر ـ آباءُ القولوغلية. وقد خصّ الدكتور الشناوي هذه النقطة بالإفادة الجامعة التالية:

"كان فرض ضريبة الغلمان مقصوراً على رعايا الدولة المسيحيين الذين يتبعون الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، ولذلك أُعفِي منها اليهود وكذلك الأرمن الكاثوليك بحكم القانون. أمّا الأرمن الأرثوذكس وهم الذين يتبعون

---

[17] ـ ش. سامي، **قاموس تركي**، استانبول 1317، ص 1551.

[18] ـ الدكتور عبد العزيز محمد الشناوي، **الدولة العثمانية**: **دولة إسلامية مفترى عليها**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1984، ج 1 ص 474.

[19] ـ **المصدر نفسه**، ج 1 ص 120 ـ 123.

الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، فقد طُبِّقت عليهم ضريبة الغلمان. كما أُعفِيَ من هذه الضريبة الآدمية سكان بعض المدن الكبرى مثل استانبول وأثينا وجزيرة رودس وبعض جزر أخرى. وفيما عدا ذلك طبّقتها الدولة تطبيقاً صارماً في شبه جزيرة البلقان والمجر والساحل الغربي لآسيا الصغرى والسواحل الشرقية والجنوبية للبحر الأسود. ولكن كان أقوى المجنّدين وأقدرهم على الخدمة يُجلبون من المناطق الجبلية التي تقطنها الطوائف المسيحية في ألبانيا والجبل الأسود والشعوب السلافية أي الصقالبة في جنوبي أوربا. وبعبارةٍ أخرى شملت ضريبة الغلمان اليونانيين والصرب والبلغار وسكان كرواتيا وأهل المجر والألبانيين والأرمن الأرثوذكس وغيرهم"[20].

3 ـ إحساس المؤرخ الجليل الدكتور زيادة بقلق الصيغة العربية للمصطلح:

أشار المؤرخ الجليل الدكتور عبد العزيز الشنّاوي في عمله الموسوعي القيِّم منذ البداية، إلى اختلاف هذا اللفظ في اللغة العربية عن أصله العثماني بالحاشية التالية؛ التي نقف من خلالها على ما استشعره أحد كبار المؤرخين العرب المعاصرين الأوائل من قلق هذه الصيغة السائدة في العربية لهذا المصطلح العثماني: "كان المرحوم الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة، رئيس قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة القاهرة، يرى أنّ الباحثين العرب يقعون في خطأٍ لغويّ واضح حين يُطلقون على هؤلاء الجنود المشاة اسم الإنكشارية، ويرى أنّ الدقّة في الصياغة اللغوية تتطلّب استخدام اللفظ

---

20 - المصدر نفسه، ج 1 ص 477 ـ 478.

التركي وهو الينى شرية، وترد في بعض المراجع ينى تشرى. واستند في رأيه إلى أنّ الفرنسيين استخدموا في لغتهم اللفظة التركية، فأصبح مدلولها الفرنسي Les Janissaires.

والواقع أنّ شكل كتابة هذه الكلمة قد ساعد على تحريفها. فهي تُكتب "يكنجرى"، وتُنطق "ينى تشرى"، لأنّ حرف الكاف في اللغة التركية القديمة كان يُنطق نوناً، وحرف الجيم يُنطق تاءً وشيناً. وهذا المصطلحُ التاريخي مكوّنٌ من مقطعين: الأول يكى ـ ومعناه جديد وحديث. والثاني جرى ـ ومعناه جندي، فيكون المعنى المركب: الجند الجديد أو العسكر الجديد.

ونحن ـ مع احترامنا لرأي أستاذنا الدكتور زيادة ومع تقديرنا العميق لأستاذيته الشامخة - نرى أنّ اللفظة التركية الأصلية وهي ينى تشرى Yeni Tcheri، واللفظة المعرّبة أو اللفظة التي تُستخدم في الكتب العربية وهي الانكشارية قريبتان بعضهما من بعض بحيث لا يستحقُّ الأمر مثل هذا التغيير الذي قد يؤدِّي إلى بلبلة الأفكار حول مدلول ينى تشرى، أو الينى شرية"[21].

4 ـ التطور اللفظي في العربية لمصطلح الإنكشارية:

[21] - **المصدر نفسه**، ج 1 ص 473. وقد أحال في آخر الحاشية إلى المصدر التالي، "انظر: الحاشية التي كتبها الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة مقرونة برقم 1 ص 445، في ترجمته إلى اللغة العربية لكتاب فيشر Fisher H. A. القسم الثاني: **تاريخ أوربا في العصور الوسطى**. الناشر: دار المعارف بمصر، 1954".

وقد استوقفتني الصيغة العربية الشائعة لهذا المصطلح مراراً منذ سنين، ووصلت أخيراً إلى المحاولة التالية لضبط تطوره اللفظي / الإملائي من الأصل العثماني إلى الصيغة العربية المعاصرة؛ إذ رأيتُ أن أعود في هذا المقام إلى عددٍ من النصوص التاريخية المعروفة في الأقطار (الإيالات) العربية المشرقية خلال العهد العثماني، وبدأتُ أولاً بنصّين معروفين يُعدّان من أهم نصوص الأجناد / العساكر بين آثار **المدرسة التاريخية المصرية في العهد العثماني**[22]، وأولهما كتاب (**تراجم الصواعق في واقعة الصناجق**)، لإبراهيم بن أبي بكر الصوالحي العوفي الحنفي الذي يعود إلى النصف الثاني من القرن (11هـ/ 17م)، وثانيهما كتاب (**الدرّة المصانة في أخبار الكنانة...**)، للأمير أحمد الدمرداشي الذي يعود إلى النصف الأول وأواسط القرن (12هـ / 17 - 18م).

وبقدر ما أمكنني من الاستقراء في هذه العجالة وجدتُ الصيغة القديمة التالية المهجورة اليوم (الينكجرية) سائدة في المصدر الأول[23]، والصيغة

---

22 - تُقسّمُ المدرسة التاريخية المصرية في العهد العثماني [بالنظر إلى المؤرخين] عادة إلى فرعي: العلماء / والأجناد. الدكتور محمد أنيس، **مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني**، القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية، 1962، 58 ص.

ولمزيد من التفاصيل عن آثار هؤلاء المؤرخين انظر أيضاً: الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، "الفكر التاريخي في مصر إبّان العصر العثماني"، ضمن أعمال مؤتمر: **الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني**، في **المجلة التاريخية المغربية**، السنة 17 / العدد 57 ـ 58 (جويلية 1990) ص 353 ـ 377.

23 - إبراهيم بن أبي بكر الصوالحي العوفي الحنبلي، **تراجم الصواعق في واقعة الصناجق**، تحقيق وضبط وتقديم الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة: المعهد الفرنسي للآثار

الأخرى المألوفة اليوم (الإنكشارية) سائدة في المصدر الثاني[24]. ومن الجليّ هنا أنّ ورود هذا المصطلح بصيغتيه المذكورتين في مواضع عديدة كما ترى في الحاشيتين أدناه، إنّما يعود إلى أنّ النصّين من عمل الأجناد.

أمّا كتاب (**أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، الملقب بالتاريخ العيني**)، لأحمد شلبي بن عبد الغني الحنفي المصري، الذي يعود إلى أواخر القرن (11هـ) والنصف الأول من القرن (12هـ / 17 -

---

الشرقية، 1986، ص 48 ، 49 ، 50 ، 51 ، 52 ، 53 ، 54 ، 56 ، 57 ،59 ، 61 ، 62 ، 63 ، 64 ، 65 ، 66 ، 67 ، 68 ، 69 ، 70 ، 71 ، 72 ، 74 ، 75 ، 77 ، 80 ، 81 ، 97 ، 98 ، 99 ، 100 ، 101 ، 102 ، 103 ، 104 ، 106 .

ومع أنّ الكلمة وردت بصيغة (الينكرجية) في ص 63، وبصيغة (الينجكرية) في ص 66، من هذه المواضع العديدة، فمن المرجّح أنّهما من قبيل التصحيف عن الصيغة السائدة في بقية المواضع.

[24] - الأمير أحمد الدمرداشي، **كتاب الدرّة المصانة: في أخبار الكنانة في أخبار ما وقع بمصر في دولة المماليك من السناجق والكشاف والسبعة أوجاقات والدولة وعوايدهم والباشا إلى آخر سنة ثمان وستين ومائة وألف**، تحقيق الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، القاهرة : المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، 1989، ص 5 ، 7 ، 10 ، 11 ، 12 ، 13 ، 21 ، 29 ، 32 ، 36 ، 45 ، 52 ، 54 ، 59 ، 61 ، 62 ، 64 ، 65 ، 70 ، 72 ، 73 ، 74 ، 76 ، 78 ، 79 ، 80 ، 81 ، 83 ، 89 ، 90 ، 94 ، 100 ، 101 ، 105 ، 117 ، 118 ، 119 ، 123 ، 129 ، 133 ، 134 ، 138 ، 140 ، 141 ، 150 ، 163 ، 168 ، 170 ، 171 ، 173 ، 174 ، 175 ، 191 ، 194 ، 196 ، 197 ، 199 ، 202 ، 208 ، 210 ، 211 ، 215 ، 220 ، 221 ، 224 ، 229 ، 232 ، 233 ، 239 ، 241 ، 250 ، 252 ، 254 ، 257 ، 261.

وقد ورد ذكر المصطلح بهذه الصيغة في الصفحات المذكورة نحو مائة مرة، إذ تكرر مراراً في صفحات عديدة منها.

18م)، وهو ليس من فرع الأجناد كسابقيه بل أقرب إلى العلماء، فقد ورد فيه هذا المصطلح العثماني الشائع آنذاك جدّاً بهاتين الصيغتين: (الينجشرية) و(الانكشارية) في المتن نفسه (؟)، وأستبعد أن يكون ذلك من تصرُّف المحقق الفاضل أستاذي الجليل المؤرخ الراحل الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم[25] - رحمه الله تعالى.

كما يجمع كتاب (**عجائب الآثار في التراجم والأخبار**) لآخر مؤرخي مصر العثمانية؛ المؤرخ المخضرم عبد الرحمن الجبرتي (1168 ـ 1240هـ / 1754 ـ 1825م)، وهو أيضاً من فرع العلماء[26]، بين هاتين الصيغتين: (الينكجرية) و(الانكشارية)[27]؛ وهو ما جعل الأستاذ الجليل الدكتور أحمد السعيد سليمان

---

[25] - أحمد شلبي بن عبد الغني الحنفي المصري، **أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات الملقب بالتاريخ العيني**، تقديم وتحقيق وضبط وتصحيح الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ط 2 القاهرة: دار الكتاب الجامعي، 1994، قارن الصيغتين في (فهرس الأمم والقبائل والجماعات)، ص 712، 717.

[26] - انظر عنه أعمال ندوته العلمية التالية: **عبد الرحمن الجبرتي**: **دراسات وبحوث**، بإشراف الدكتور أحمد عزّت عبد الكريم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976، (635 ص بالعربية / 83 ص بغير العربية). وانظر فيها ـ على وجه الخصوص: رفعت الفرنواني، "**لغة الجبرتي**"، ص 255 ـ 288. وفي إحدى حواشيه إشارة إلى: "رسالته للماجستير بعنوان (**الخواص التركيبية للغة الجبرتي كما تبدو في آثاره**)، مخطوط بدار العلوم".

[27] - عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، بيروت: دار الجيل (ط 2) 1978، ج1 ص 55، 59، على سبيل المثال.

يورد هذا المصطلح الدخيل في بابي (الألف / والياء) من عمله المعجمي الطريف القيِّم[28].

وفي العراق الذي يضمُّ أولى الإيالات العربية في الدولة العثمانية نجد تلك الصيغة الأولى (الينكجرية) سائدةً ـ على سبيل المثال ـ في كتاب (**زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية**)، للمؤرخ ياسين بن خير الله العمري، المولود بالموصل سنة (1157هـ / 1744م)، والمتوفى بعد سنة (1232هـ / 1816م)[29]. ومن الطريف حقّاً أن نجد المحقق الفاضل نفسَه الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، وهو من أبرز المؤرخين العراقيين المعاصرين يلتزم أيضاً باستخدام هذه الصيغة القديمة للمصطلح (الينكجرية) في كتابه القيِّم عن (**الموصل في العهد العثماني**)[30]. في حين أعرض عنها إلى الصيغة المألوفة اللاحقة (الإنكشارية) في عمل تاريخيٍّ آخر اضطلع بتحقيقه، وهو يعود أيضاً إلى **حوادث بغداد والبصرة** في بضع سنين من العهد العثماني[31].

[28] - الدكتور أحمد السعيد سليمان، **تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل**، القاهرة: دار المعارف (د. ت) ص 31، 204.

[29] - ياسين بن خير الله العمري، **زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية**، انتخب زبدته المرحوم داود الجلبي، حقّقه وعلّق عليه عماد عبد السلام رؤوف، النجف الأشرف: مطبعة الآداب (د. ت)، ص 309 (فهرس الوظائف والمؤسسات الاجتماعية).

[30] - عماد عبد السلام رؤوف، **الموصل في العهد العثماني**: **فترة الحكم المحلي (1139 ـ 1249هـ / 1726 ـ 1834م)**، النجف الأشرف: مطبعة الآداب، 1395هـ/ 1975.

[31] - عبد الرحمن بن عبد الله السويدي البغدادي، **تاريخ حوادث بغداد والبصرة (1186 ـ 1192هـ / 1772 ـ 1778م)**، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، ط 2

أمّا في بلاد الشام التي تُعَدُّ كذلك من أقرب الإيالات العربية إلى مركز الدولة العثمانية، فأكتفي بالإشارة إلى كتاب (**حوادث دمشق اليومية 1154 ـ 1175هـ / 1741 ـ 1762م**) التي جمعها الشيخ أحمد البديري الحلاق في القرن (18م)، ونقّحها الشيخ محمد سعيد القاسمي في القرن (19م)[32]، وقد ورد المصطلح فيها بالصيغة الأخيرة الشائعة اليوم (الانكشارية)، غير أنّه لا يمكن الجزم اليوم بنسبتها إلى أحد الرجلين في القرنين المذكورين ؟ إذ أنّه ورد بالصيغة الأولى (الينكجرية) في أحد المواضع أيضاً على سبيل المثال[33].

ولا يفوتني في هذا السياق اللغوي لتأصيل المصطلح التاريخي، أن أشير أيضاً إلى ما ورد في (**محيط المحيط**)؛ وهو أول المعاجم العربية الحديثة (صدر في بيروت سنة 1869م)، للمعلم بطرس البستاني (1819 ـ 1883م) الذي يُعَدُّ من كبار العلماء واللغويين في القرن التاسع عشر[34]، إذ أدرج في

بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ـ آفاق عربية، 1987، (فهرس الوظائف والمؤسسات الاجتماعية، ص 163).

32 - ووقف على تحقيقها ونشرها المؤرخ الكبير الدكتور أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة: الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، 1959.

33 - **المصر نفسه**، ص 87.

34 - انظر، على سبيل المثال: د. علي توفيق الحمد، "بطرس البستاني وجهوده المعجمية"، ضمن: جمعية المعجمية العربية بتونس، **وقائع مائوية: أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني ورينحارت دوزي** (تونس 1986)، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1407 / 1987، ص 305 ـ 335.

(حرف الياء)[35] هذا الشرح الموجز للمصطلح الدخيل: "الينكجاري والانكجاري: واحدة الينكجارية والانكجارية لوجاق من الجند أبطله السلطان محمود [الثاني] سنة 1826 للمسيح، وأقام العساكر المنتظمة مكانه. تركية مركّبة من يني أي جديد وعسكري؛ أي عسكري جديد. ومنه قول العامّة: فلان ينكجاري أي صؤولٌ لا يُطاق"[36]. وفي الشام أيضاً تستوقفنا هذه الصيغة الطريفة المحوّرة في (**موسوعة حلب المقارنة**)، للعلامة محمد خير الدين الأسدي (1900 ـ 1971م)، إذ يبدو أنّها صُحِّفت هناك إلى "انجكاري[37] أو انكشاري، والجمع انجكارية أو انكشارية"[38].

---

[35] - خلافاً للصيغة الشائعة اليوم في العربية المعاصرة. ويبدو أنّ البستاني قد آثر الوفاء للأصل العثماني الذي يبدأ المصطلح فيه بالياء كما تقدم ؟

[36] - **محيط المحيط**، الصفحة الأخيرة منه.

ومع شيوع هذا اللفظ (الدخيل) اليوم في العديد من الكتابات التاريخية المعاصرة، يبدو أنّه لم يرد في (**المعجم الوسيط**)، الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة ؟ في حين أدرج في الجزء الأول من (**المعجم الكبير**)، القاهرة 1970، المخصص لحرف الهمزة، في سياق صيغته الشائعة اليوم، بتعريف موجز: "الانكشارية (تركية من الكلمتين يكنى = Yeni – بالنون الخيشومية – ومعناها جديد، وجرى Ceri – بالجيم المشوبة – ومعناها العسكر: الجيش الجديد): جيش من المشاة أنشئ في عهد السلطان العثماني أرخان سنة (726هـ= 1326م)...الخ، ص 566 - 567.

[37] - لاحظ تقديم الجيم على الكاف، خلافاً لما تقدم في محيط المحيط أعلاه.

[38] - محمد خير الدين الأسدي، **موسوعة حلب المقارنة**، أعدّها للطباعة ووضع فهارسها محمد كمال، حلب: معهد التراث العلمي العربي، 1401هـ/ 1981م، ج 1 ص 253.

أمّا في الإيالات المغربية؛ فقد ورد المصطلح بصيغته الجديدة (الإنكشارية) في (**مذكرات الزهّار**) بالجزائر[39]. ولا يمكن الجزم هنا بعودة هذه الصيغة للمؤلف أو الناشر.

في حين ورد، في كتاب (**الإتحاف**) بتونس، بصيغة (الينجرية) التي تبدو فيها المقاربة اللفظية للمصطلح بحذف الكاف النوني، وإثبات النون بديلاً عنه[40].

وفي طرابلس خصّه المؤرخ أحمد النائب الأنصاري (1246 ـ 1336هـ/ 1848 ـ 1918م) في كتابه (**المنهل العذب**) الذي أصدره باستانبول نفسها في خاتمة القرن التاسع عشر، بنبذةٍ شارحةٍ في صفحةٍ كاملةٍ تحت العنوان التالي: (الخبر عن ابتداء اختراع العساكر اليكيجرية)، ويبدو تأثره بالمحيط هناك جليّاً في المحافظة على الصيغة العثمانية للمصطلح[41].

***

---

[39] - **مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر (1168 ـ 1246 هـ/ 1754 ـ 1830م)**، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط 2 الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص 165.

[40] - أحمد بن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الجزء الثالث، النشرة الثانية بتحقيق الدكتور أحمد الطويلي، تونس: الدار التونسية للنشر، 1990، ص 75.

[41] - أحمد النائب الأنصاري، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، ط 3 طرابلس: مكتبة الفرجاني (د. ت)، ص 317.

وبشيءٍ من التأمُّل يبدو لي أنّ المصطلح العثماني (**يكيجرى**)، قد تطوّر رسمُه الإملائي إلى الصيغة العربية الأولى (**الينكجرية**) على النحو التالي:

- فقد زِيدَ في الصيغة العربية حرف النون، مراعاةً لمنطوق الأصل العثماني، قبل الكاف النوني غير المعروف في العربية؛ ولعلّهم رأوا آنذاك ضرورة الجمع بين هذين الحرفين مراعاة للنطق / والرسم ؟ وسنرى مثل هذا الجمع أدناه بين حرفين من اللغتين في مصطلح عثماني آخر أيضاً: (بك / بيك).
- وزِيدت أل التعريف في أول الكلمة.
- وحُذفت الياء الثانية بعد الكاف النوني.
- وزِيدت تاء التأنيث في آخر الكلمة.

***

أمّا في تحوُّلها من هذه الصيغة (**الينكجرية**) إلى الصيغة العربية اللاحقة الشائعة اليوم أيضاً (**الإنكشارية**)، فقد تمّ ما يلي:

- أُبدلت الياء الأولى في الصيغة العربية السابقة همزةً مكسورةً: (الينكـ / الإنكـ).
- وتحوّلت الجيم الفارسية / العثمانية المثلثة إلى الشين: (الينكجـ / الإنكشـ).

- وزِيدت الألف بعد الشين: (الينكجرية / الإنكشارية)[42].

***

وخلاصة المفارقة بين الصيغة العثمانية، والصيغة العربية الشائعة اليوم للمصطلح؛ تتمثّل في إقحام حرف الكاف نطقاً في الكلمة؛ إذ لا وجود ـ كما ترى ـ لصوت الكاف في الأصل العثماني؛ ولذلك غاب حرف الكاف عن رسمها الإملائي في التركية الحديثة (Yeni ceri). ويذكِّرُنا هذا اللبس بين الكاف الأصلي / والكاف النوني في الكلمة بلبسٍ شبيهٍ آخر في الكاف اليائي كذلك، في كلمةٍ تركيةٍ لا تزال شائعةً اليوم جدّاً في بعض اللهجات العربية، وهي كلمة (بك) التي تعني الأمير / والسيِّد[43].

---

[42] - يلفت النظر في هذا السياق أيضاً أنّ مادة (**الإنكشارية**) قد أدرجت بهذه الصيغة في **الترجمة العربية لدائرة المعارف الإسلامية** (النشرة الثانية، القاهرة 1969)، دون أية إشارة إلى هذا التطور اللفظي للمصطلح، مع أنّه تحول من الحرف الأخير (الياء) في أصله العثماني، إلى الحرف الأول (الألف) في صيغته العربية. **دائرة المعارف الإسلامية**، النسخة العربية، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، د. عبد الحميد يونس، المجلد الخامس، ص 111 – 116.

[43] - فقد وقفتُ في (مكتبة جامعة استانبول ـ قسم النوادر) على مخطوط بعنوان: (**تغريد حمام الأيك فيما وقع [من أو لـ] مصطفى بيك**)، وهو محفوظ تحت رقم (1299 مخطوطات عربية)، والطريف في الأمر هنا أنّ المؤلف قد جعل الحرف الأخير من ذلك اللقب التركي ـ العثماني (بك) بالكاف؛ وهو الشائع حتى اليوم في بلاد الشام والمشرق، وبنى عليه السجعة (الأيك - بيك). وواقع الأمر أنّه في التركية العثمانية كافٌ يائيٌّ (مزيدٌ على العربية)، يُكتبُ كافاً، ويُنطقُ ياءً (بك Bey). ويبدو جلياً أنّ الاستعمال الشائع في ليبيا لهذا اللقب حتى اليوم (**بي**) أكثرُ مطابقة للأصل، في حين تتوسّطه الألف (**باي**) في تونس، وتلحق به الهاء (**بيه**) في مصر. وقد يُعزى صوابُ نطقه في ليبيا إلى استمرار الوجود العثماني المباشر فيها فترة أطول، بعد جارتيها في المغرب والمشرق.

الفصل الثالث

الدلالة المركزية العسكرية: أبناء الجند

(أ) - عودة إلى المؤرخ بازامة:

يلفت النظر حقّاً ما جاء لدى المؤرخ الراحل محمد مصطفى بازامة - رحمه الله تعالى - في كتابه المخطوط بقوله: "من الثابت أنّ الكراغلة جماعة وُجدت في تونس وفي الجزائر أيضاً، وفي نفس الفترة الزمنية كان بروزها في هذه الأقطار العربية الثلاثة، إلا أنّنا لا نعلم لهم وجوداً في الماضي أو الحاضر

ومثلما جمع كتّاب العربية في أوائل العهد العثماني بين النون / والكاف النوني في كلمة (الينكجرية)، على نحو ما تقدّم بيانُه في المتن أعلاه، يبدو هنا أيضاً أنّهم جمعوا في بعض النصوص القديمة بين الياء / والكاف اليائي في كلمة (بيك) مراعاة للنطق / والرسم، وهي الصيغة السائدة المكررة مراراً ـ على سبيل المثال ـ في بعض الكتب المذكورة أعلاه من المصادر التاريخية في العهد العثماني. غير أنّ هذه الياء المزيدة في الصيغة العربية للكلمة ليست ثابتة مطردة في إملائها، والمفارقة الظاهرة بين الأصل العثماني / والصيغة العربية السائدة في المشرق تتمثل أيضاً في نطق الكاف الذي لا وجود له ـ كما ترى ـ في الأصل العثماني للكلمة؛ ولذلك غاب أيضاً عن رسمها الإملائي في التركية الحديثة.

في أيِّ قطر عربي آخر، إلا إذا كانوا أفراداً استوطنوه كمهاجرين من ليبيا أو تونس أو الجزائر، كما أنّنا لا نعثر على جماعةٍ في ذات بلد الأتراك [كذا ؟]، ولا في غيرها ممن كانت تُعَدُّ ضمن الممتلكات العثمانية في التاريخ، فهي كتسميةٍ وهم كظاهرة اقتصر وجودهم وتسميتهم بالكراغلة على هذه الأقطار الثلاثة وحسب من الوطن العربي ومن الإمبراطورية العثمانية معاً"[44].

ولا أدري في واقع الأمر على ما استند المؤرخ الراحل في هذه الإفادة القطعية التي تدفع هي نفسُها إلى التساؤل عن ظروف نشأة المصطلح، وسرِّ ظهوره، وموطنه، وصلته بالدلالة اللغوية المعنية التي لا يمكن تجاوزها عند (تجذير / أو تحليل / أو تأصيل ـ أيِّ مصطلح من هذا القبيل)، للوقوف على حمولته التاريخية. وبعبارةٍ أخرى إنّ المصطلح نفسَه يطرح في مثل هذا السياق ثلاثة أسئلة ضرورية:

1 ـ علاقته الدلالية بالتشكيلات المركزية للدولة العثمانية ؟

2 ـ تعليل ظهوره وبروز دلالته الخاصة في الأوجاقات / أو الإيالات العثمانية المغربية ؟

3 ـ التأكُّد من ظهوره / أو تعليل غيابه عن الإيالات العثمانية المشرقية ؟

وواقعُ الأمر أنّ هذا المصطلح نشأ وظهر أولاً ـ كغيره من المصطلحات التاريخية العديدة ـ في مركز الدولة العثمانية، وكانت له هناك / آنذاك دلالته الخاصّة الأولى في إطار محدّد. ويبدو جليّاً بالملاحظة والتأمُّل والتتبُّع أنّ

[44] ـ بازامة، **الكراغلة**، ج 1 ص 33 ـ 34.

دلالة هذا المصطلح قد توسّعت وتطوّرت ما بين المركز / وبعض الأطراف على أربع مراحلَ زمانيةٍ / مكانيةٍ متتاليةٍ على النحو التصنيفي المدرج في الجدول التالي:

تصنيفٌ مرحلي / مكاني لتطور دلالة مصطلح القولوغلية في فضائه العثماني

المرحلة	الدلالة	الفضاء	الفترة
الأولى	أبناء الجند (عسكرية).	مركز الدولة العثمانية.	منذ الإذن بالزواج للإنكشارية.
الثانية	أبناء الجند ـ المولّدون من أبوين مختلفين / نسلٌ هجين. في التركية: ملز **Melez**. (عسكرية / عرقية اجتماعية).	الإيالات المغاربية: طرابلس، وتونس، والجزائر.	منذ أواخر القرن (**10**هـ/ **16**م).
الثالثة	القولوغلية / المخازنية ـ دلالة وظيفية: (قبائل المخزن العاملة في خدمة السلطة).	إيالة طرابلس (خاصة).	العهد العثماني الثاني إلى مطلع القرن العشرين.
الرابعة	العودة إلى الدلالة المغاربية السابقة: (المولّدون من أبوين مختلفين ـ نسل هجين).	ولاية طرابلس.	منذ إلغاء امتيازات القولوغليّة في أواخر العهد العثماني (**1902** / إلى اليوم في الذاكرة الشعبية).

(ب) – مثالٌ دراسي: من تحوُّلات الدلالة في المعجم التاريخي:

تنبغي الإشارة في هذا السياق من الدراسة إلى أنّها لن تكون [في هذه الفصول] بحثاً تركيبياً مستنداً إلى مزيجٍ مختلطٍ من المصادر، في صياغةٍ موضوعيّةٍ مكثّفةٍ (كالبحوث التاريخية المعتادة)؛ إذ أنّني آثرتُ هنا اختيار (**منهجٍ معجميٍّ**)، وإتباع طريقةٍ مختلفةٍ، حرصاً ـ قبل كلِّ شيءٍ ـ على تأكيد هذا (**التطوُّر الدلالي للمصطلح**)، بالتقيُّد بالخطوات الإجرائية التالية:

1 ـ جمعُ حصيلةٍ كافيةٍ من المصادر الدّالة على مصطلح القولوغليّة في كلِّ المراحل.

2 ـ تصنيفُ هذه الحصيلة إلى (مجموعاتٍ منفصلةٍ)، وفق دلالتها المرحلية في الفضاءات الجغرافية المذكورة.

3 ـ البدءُ بالتعريف في إيجاز بالمصدر، ثم استخلاص وجه الحاجة منه؛ ومن هنا تأتي بعض الاقتباسات مطوّلةً أحياناً، لتوثيق الدلالة اللغوية، وإضاءة المعنى، وفقاً لمعطيات المصادر نفسها في كلِّ مرحلة.

وآية ذلك أنّنا سنحسُّ حتماً بالتناقض والتنافر إذا نقلنا أيّ مصدرٍ منها، وحشرناه في غير سياقه. وخلاصة القول في هذه الإشارة المدخلية: إنّ القولوغليّة [العرقية] في كتاب (**التذكار**) في مطلع العهد القرمانلي، غيرُ القولوغلية [الوظيفية] في (**سالنامات ولاية طرابلس**) في أواسط العهد العثماني الثاني ـ على سبيل المثال.

ومن الجليّ هنا أنّ هذه الطريقة المتّبعة في تأصيل المصطلح، تتوخّى قدر الإمكان مقاربة ذلك المنهج الإجرائي الذي يتطلع إليه (**المعجم التاريخيُّ**)[45] المنشود، في هذا المدى الزمني المحدود بفضاء العصر الحديث على الأقل. فمصطلح (القولوغليّة) في صيغته الأدنى إلى الأصل، أو في صيغه الشعبية الشائعة الأخرى: (الكرغلية / والكوارغلية / والكراغلة)، قد أضحى اليوم متداولاً جدّاً في نصوص الباحثين والدارسين، أي أنّه بعبارةٍ أخرى قد غدا من مفردات الدخيل أو المعرّب في (**الفصحى المعاصرة**)، وهو ما يتطلّبُ بالضرورة مثل هذا التأصيل الموثّق؛ استناداً إلى استقراء النصوص المتاحة[46].

وسأحاول في هذه المساهمة التركيز على إيضاح الأبعاد اللغوية للمصطلح العثماني وتحوُّلاتها في المراحل الزمانية / المكانية المذكورة، دون الاستطراد كثيراً إلى تفاصيل الأوضاع التاريخية لهذه الشريحة ـ أو بالأحرى الشرائح ـ

---

45 - المقاربات النظرية حول **المعجم التاريخي** عديدة.... انظر ـ على سبيل المثال: اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية / ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم التاريخي للغة العربية**: **المنهج والتطبيق**، 1439هـ/ 2018م، 49 ص (كتيِّب نموذجي).

46 - انظر، على سبيل المثال، **الأعمال التطبيقية** التالية:

- الدكتور البدراوي زهران، **في علم اللغة التاريخي**: **دراسة تطبيقية على عربية العصور الوسطى**، ط 2 القاهرة: دار المعارف، 1981، 447 ص.

- الدكتور عبد الله الجبوري، **تطوُّر الدلالة المعجمية بين العامي والفصيح (معجم دلالي)**. بغداد: منشورات المجمع العلمي، 1423هـ/ 2002م، جزءان 900 ص.

الاجتماعية التي عُرفت بهذا الاسم في تلك المراحل، إلا بالقدر المحدود الذي تتطلّبه إضاءة السياق في كل مرحلة.

***

الدلالة المركزية العسكرية

[المرحلة الأولى]

لقد شاعت في العديد من الأعمال التاريخية المغاربية تلك الإفادات المتنوِّعة / المتقاربة عن التفسير المُعطَى لهذا الاسم، غير أنّها لا تشير إلى ظروف نشأة المصطلح الأولى وحدود دلالته في مركز الدولة العثمانية نفسها، قبل انتقاله إلى هذه الأطراف الغربيّة القصيّة من فضاء الدولة العثمانيّة الذي قُدِّرَ له أن يكون شاسعاً متنوِّعاً جامعاً بين ثلاث قارات (أوروبا، وآسيا، وأفريقيا).

وقد آثرتُ في هذا المقام أن أشير أولاً على نحو موجزٍ خاص إلى بعض الأعمال أو الدراسات التركية المعاصرة التي عُنيت بهذا المصطلح ونشأته وبيان دلالته في بيئته المركزية الأولى، وفق التسلسل التراتبي لظهورها على النحو التالي:

1 ـ من تشكيلات الدولة العثمانية: أوجاقات القابي قول ـ ج 1، أوجاق العجمية وأوجاق الإنكشارية. (أنقرة 1943). مؤلِّفُه أحدُ كبار المؤرخين الأتراك المعاصرين المخضرمين الأوائل، وهو الأستاذ المؤرخ إسماعيل حقِّي

أوزون جارشيلي (1888 ـ 1977) صاحب الآثار العديدة الموسّعة عن التاريخ، والنظم، والتشكيلات العثمانية[47].

ويدلُّ عنوان الكتاب[48] على نسبة تلك التشكيلات العسكرية إلى الباب العالي: (قابى قوللرى: مماليك الباب ـ أو أتباعه)، وهو مركّبٌ إضافيٌّ من كلمتي (قابى Kapi) التي تعني الباب، و(قول Kul) التي تعني العبد أو المملوك، وهنا بمعنى التابع، والمقطع (لر) لإفادة صيغة الجمع، ولذلك نلاحظ اجتماع اللامين في الكلمة، مع إلحاق (الياء) بآخره علامة الإضافة[49].

---

47 ـ **Buyuk Larousse Sozluk ve Ansiklopedisi** ,Istanbul 1992 , c. 23, s. 12008.

48 - Ismail Hakki Uzuncarsili , **Osmanli Devlti Teskilatindan Kapukulu Ocaklari, 1 Acami Ocagi ve Yeniceri Ocagi** , 3 baski Ankara : Turk Tarih Kurumu Basimevi 1988.

49 - يشير أحد الباحثين العرب المعاصرين المعنيين بتاريخ مصر من خلال الأرشيف العثماني، وهو الدكتور سيِّد محمد السيِّد، إلى التأثيرات الملحوظة الموروثة بين نظم الدول الإسلامية المتتالية: (فكانت تشكيلات الدولة اللاحقة نموذجاً مطوّراً لتشكيلات الدولة السابقة عليها. وقد اتضح هذا التطور بجلاء في التشكيل العسكري المعتمد على المماليك أي العبيد والخدم، حتى وصل هذا التشكيل إلى أقصى مراحله بإقامةِ دولةٍ تقوم على هذه الفئة العسكرية عُرفت باسم **(دولة المماليك)**، وأطلق على هذا النظام الذي يحكم دولتهم اسم **(النظام المملوكي)**. وقد تأثرت التشكيلات العسكرية العثمانية في المركز تأثراً عظيماً بنظام المماليك هذا، حيث اعتمدت الدولة نظاماً للجندية أشبه ما يكون بنظام المماليك عُرف باسم **(نظام الديوشيرمه)**، وقد عُرف جند هذا النظام باسم جند **(قابو قولى: خدم الباب السلطاني / الدركاه العالي)**. انظر: د. سيِّد محمد السيِّد، **مصر في العصر العثماني في القرن 16: دراسة وثائقية في النظم الإدارية والقضائية والمالية والعسكرية**، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1418هـ/ 1997م، ص 64.

وسيكون معنى العنوان الرئيسي للكتاب مفيداً أيضاً لإيضاح مصطلح القولوغلية أدناه.

ومن معاني (أوجاق Ocak) في التركية: موقد النار؛ وربّما جاء منه المعنى اللاحق المقصود في هذا السياق للكلمة؛ أي المجتمعون حول نارٍ واحدة، والقصد إلى الجماعة العسكرية الذين تضمُّهم الثكنة[50]. وفي الوثائق العثمانية القديمة مصطلح (**غرب أوجاقلرى**) على سبيل الإضافة؛ أي أوجاقات المغرب [العربي] العثمانية المعروفة؛ بمعنى إيالات الغرب / أو الإيالات الغربية[51].

ويجمع الجزء الأول من الكتاب بين الأوجاقين المذكورين، وأولهما (أوجاق العجمية) الذي يضمُّ (أبناء العجم) من الشعوب الغربية، ويُطلَقُ على: أوجاق المبتدئين / غير المجرِّبين. وثانيهما (أوجاق الإنكشارية) وهم ـ غالباً كما سنرى ـ آباء القولوغلية، وقد تقدّم أعلاه بيان التطور اللفظي / والإملائي لصيغة هذا المصطلح في العربية.

ويقع الكتاب في (755) صفحة تشتمل على تفاصيل غزيرة عن الأوجاقين المذكورين؛ وتتقدّمُه خلاصةٌ عن التشكيلات العسكرية في الدولة العثمانية، في بضع صفحات[52]. يليها الفصل الأقصر من الكتاب عن أوجاق العجمية في

---

50 - أذكر أنّني استفدتُ هذا المعنى من أستاذي المؤرخ محمد الأسطى ـ رحمه الله تعالى ـ انظر: (**اليوميات الليبية**، ج 1 ص 319).

51 - انظر صدى ذلك في المعجم العثماني: ش. سامي، **قاموس تركي**، ص 964.

52 - **الكتاب المذكور**، للمؤرخ إسماعيل حقي أوزون جارشيلي، ص 1 ـ 4.

(137) صفحة[53]، ثم يستأثر أوجاق الإنكشارية بجلّ الصفحات[54]. وتليها البيليوجرافيا، والكشّاف المكوّن من ثلاثة فهارس: فهرس الأعلام، وفهرس الأماكن والشعوب والجماعات، وفهرس المصطلحات الذي نقفُ من خلاله على بغيتنا في هذا المقام: (القولوغليّة Kul Ogullari) الذين ورد ذكرُهم في أحد عشر موضعاً، أكثرها فائدةً وتفصيلاً الموضع الأول[55]. وقد حرصتُ قدر الإمكان على مراجعة كل هذه المواضع التي ورد فيها ذكر القولوغليّة؛ فتبيّن لي أنّها تتعلّق بهم في المركز، ولا يُشارُ إليهم هنا بالمعنى اللاحق المعروف المتداول في الإيالات المغربية.

ومن المعروف أيضاً أنّ هذا المصطلح مركّبٌ إضافيٌ من كلمتي: (قول Kul) التي تعني العبد / أو المملوك، و(أوغل Ogul) التي تعني (ابن)، مع إلحاق الياء (أوغلى) بها علامة الإضافة، غير أنّها تُنطَقُ مضمومةً لضمّ ما قبلها (oglu Kul)، مراعاةً للقانون الصوتي في اللغة التركية، وفي الإملاء العربي المعاصر (قول أوغلو). والمعنى المركّب للمصطلح: أبناء المماليك / أي أبناء الجند.

وخلاصة المصطلح في دلالته المركزية الأولى هنا: أنّه تعبيرٌ عن أولئك الأبناء الذين يؤدُّون الخدمة العسكرية في الأوجاق كآبائهم من جنود

---

53 - **المصدر نفسه**، ص 5 ـ 141.

54 - **المصدر نفسه**، ص 143 ـ 705.

55 - **المصدر نفسه**، ص 31 - 33، 61 - 62 ، 137 ، 138 ، 152 ، 165 في الحاشية ، 201 ، 307 ، 308 - 309 ، 347 ، 359 في الحاشية.

الإنكشارية [مماليك السلطان]، بعد أن أُذن لهم بالزواج في أوائل القرن السادس عشر، وقد كان قبل ذلك ممنوعاً عليهم. ومن الجليّ هنا أنّ هذا المعنى الخاص للمصطلح متفرّعٌ أيضاً عن الاسم العام لهذه التشكيلات العسكرية (قابى قوللرى) المشار إليه أعلاه؛ فإذا كان الـ (**قابى قوللرى**: مماليكَ الباب العالي / أو جنودَه) كما تقدّم شرحُ المصطلح أعلاه؛ فإنّ الـ (**قول اوغللرى**: هم الأبناء الملحقون بآبائهم المماليك / الجنود في الأوجاقات)، وهو ما يُضفي عليهم سمةً مميّزةً، وليس القصدُ إلى معنى العبودية المباشر للكلمة.

ولقد استوقفني حقّاً في هذا الكتاب القيّم ذلك المبحث الموجز المخصّص للجانب الثقافي لدى الإنكشارية، وهو أمرٌ قد يبدو بعيداً مستغرباً لدى القارئ الكريم، وقد جاء بعنوان: (**الطلاب والمدرسون والشعراء بين الانكشارية**)[56]، وتضمّن بضعة نماذج منهم، وكان أحدُهم من أولئك **القولوغلية** أنفسهم، وخصّه بالخلاصة التالية: "الشيخ خضر بن إلياس، كان أبوه (يايا باشى / كبير المشاة) في الأوجاق، ولكونه هو نفسه (قول أوغلى) فقد أخذ إلى الاوجاق أيضاً، وبدأ تعليمه هناك، وحصل على إجازة من عالم يُدعى معلول زاده، وعمل واعظاً بجامع (الأورته)[57]، ثم عُيّنَ مدرِّساً بدار الحديث

---

[56] - **المصدر نفسه**، ص 345 ـ 348.

[57] - الأورته: إحدى فرق الأوجاق (طابور).

(شمسي باشا) في أسكودار[58]. وقد توفي هذا الشخص المنسوب أيضاً إلى الطريقة الخلوتية، شهيداً في حرب إغري."[59] ؟

2 ـ معجم التعابير والمصطلحات التاريخية العثمانية:

وهذا الأثرُ عملٌ معجميٌّ تاريخيٌّ قيِّمٌ يقع في ثلاثة مجلداتٍ بحرفٍ طباعي صغير ناعم[60]. مؤلِّفُه الأستاذ محمد زكي باقالين (1886 ـ 1972)، أحد الباحثين الأتراك المعاصرين المخضرمين الأوائل، وهو مؤرِّخٌ ومعجميٌّ. وقد صدر عمله في طبعته الأولى خلال السنوات (1946 ـ 1956)[61]. ويضمُّ المعجم حشداً هائلاً من تلك التعابير والمصطلحات المشار إليها في عنوانه؛ ولذلك غدا من الآثار المرجعية الشائعة المتداولة في حقل الدراسات العثمانية[62].

---

58 - اسكودار: بالطرف الآسيوي من استانبول إزاء مضيق البسفور.

59 - **المصدر نفسه المذكور أعلاه**، ص 347. ولكنّه لا يشيرُ إلى الإطار الزمني لحياته. غير أنّنا استناداً إلى مصدره الذي عادَ إليه يمكننا أن نقف على ذلك؛ إذ نسب هذه الخلاصة إلى كاتب شلبي (حاجي خليفة 1609ـ 1658) في كتابه (**فذلكه**) الذي يحتوي على وقائع السنوات (1000ـ 1065هـ/ 1592ـ 1654م)، كما جاء في المادة المحرّرة عنه في (**دائرة المعارف الاسلامية**) باللغة التركية (الإصدار الأول)، ج 6 ص 436.

60 - يضمُّ المجلدُ الأول 870 صفحة، والمجلدُ الثاني 784 صفحة، والمجلدُ الثالث 670 صفحة.

61 - **Buyuk Larousse Sozluk ve Ansiklopedisi ,** Istanbul 1992,c. 17 s.9103.

62 - Mehmt Zeki Pakalin ,**Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri Sozlugu** , Istanbul 1993.

وقد اكتفى باقالين بنقل ما ورد في الموضع الأول لدى المؤرخ إسماعيل حقّي أوزون جارشيلي في عمله المذكور أعلاه، مع حذف بعض النصوص المقتبسة لديه، وحذف ما ذكر أيضاً في الحواشي من المصادر، ولكنّه أحال على هذا المصدر منذ البداية[63].

3 ـ دائرة المعارف الإسلامية (باللغة التركية ـ الإصدار الأول):

في اللغة التركية إصداران لدائرة المعارف الإسلامية، والإصدار الأول مترجمٌ عن طبعة ليدن، مع بعض التعديلات، والتتمات، والمواد المزيدة، وقد صدر عن وزارة التعليم Milli Egitim Bakanligi، ويقع في 13 مجلداً (استانبول 1940 ـ 1988). وقد اضطلع المؤرخ إسماعيل حقّي أوزون جارشيلي نفسُه بإعداد مادة (قول اوغلى Kul oglu) في هذا الإصدار الأول، وجاءت موجزة جدّاً عما تقدّم لديه في عمله الموسّع المذكور أعلاه. وكان هذا الكتاب نفسُه في مقدمة الببليوغرافيا التي اختتمت بها المادة[64]. ولم تتجاوز المادة في هذا الإصدار الدلالة المركزية للمصطلح، خلافاً للإصدار الجديد اللاحق الذي سيُشارُ إليه أدناه.

4 ـ الدولة العثمانية: **تاريخ وحضارة.** (الأصل التركي 1994، الترجمة العربية 1999).

---

63 - **المصدر نفسه**، ج 2، ص 320 ـ 321.

64 - **Islam Ansiklopedisi** , c.6 s.978 – 979.

اضطلع مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول (إرسيكا) التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ضمن جهوده التوثيقية المتنوعة، بإعداد هذا العمل الجماعي القيّم وفقَ رؤيةٍ موضوعيةٍ شاملة، وأسند مهمّة إنجازه إلى عددٍ من الأساتذة الباحثين الإجلاء من ذوي الكفاءة والتجربة والاختصاص، ونأى عن التسلسل الزمني التقليدي إلى تقسيمٍ موضوعي رصين. فكان **الباب الأول** من المجلد الأول عن التاريخ السياسي للدولة العثمانية، وكان **البابان الثاني والثالث** عن نظم الدولة العثمانية، وكان **الباب الرابع** عن النظم العسكرية العثمانية ...الخ ـ وهو بيت القصيد في هذا السياق الموجز ـ وقد أعدّه الدكتور عبد القادر أوزجان، وأكتفي منه بالإشارة التالية - على سبيل المثال: "وكان الزواج ممنوعاً على الإنكشارية، فلما جاء السلطان سليم الأول أباحه لكبار السن منهم، فكان يُطلَقُ على ولد الإنكشاري اسم **(قول اوغلى)** أي ولد الجندي، ويحقُّ لهؤلاء الأولاد أن يلتحقوا مباشرةً بأوجاق العجمية، وتُخصّص لهم العلوفات"[65].

5 ـ دائرة المعارف الإسلامية (باللغة التركية ـ الإصدار الثاني):

أمّا هذا الإصدار الثاني لدائرة المعارف الإسلامية باللغة التركية فهو تأليفٌ جديدٌ يصدر عن مؤسسة وقف الديانة التركي Turkiye Diyanet Vakfi،

---

[65] - **الدولة العثمانية: تاريخ وحضارة**، إشراف وتقديم الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلى، نقله إلى العربية الدكتور صالح سعداوي، إستانبول 1999، ج 1 ص 389ـ390، وانظر أيضاً: ص 391، 392، 395.

وقد صدر منه ـ فيما وقفتُ عليه سابقاً ـ 34 مجلداً (استانبول 1988 ـ 2007)، وهي تشمل الحروف (A-R)، ولا يزال العملُ القيِّمُ جارياً.

ومثلما اضطلع الدكتور عبد القادر أوزجان بالباب الرابع عن (النظم العسكرية العثمانية) في العمل العلمي الجماعي السابق، فقد أُسندت إليه هنا أيضاً مادة (قول اوغلى Kuloglu) في هذا الإصدار الجديد لدائرة المعارف الإسلامية، وهي موجزة كذلك[66]. وفي حين اقتصر الإصدار الأول على مادةٍ واحدةٍ عن هذا المصطلح، ضمّ الإصدار الثاني الجديد مادتين منفصلتين متتاليتين عنه؛ أولاهما عن دلالته الأولى المركزية المشار إليها في هذا السياق، والأخرى عن الدلالة اللاحقة للمصطلح في الإيالات (المغربية) التي سترد الإشارة إليها أدناه.

***

*** في اللغة التركية والثقافة المعاصرة:**

لئن كانت الأعمال السابقة تشير إلى الدلالة الأولى المركزية لهذا المصطلح في سياقه التاريخي الدراسي الماضي، فإنّ هذا لا يعني غياب هذا المعنى عن اللغة والثقافة التركية المعاصرة؛ وهو ما نقف عليه من خلال النماذج التالية ـ على سبيل المثال.

---

66 - Turkiye Diyanet Vakfi, **Islam Ansiklopedisi** , s. 358 – 359. c.26 (Ankara 2002)

6 ـ ففي (**المعجم التركي**) الصادر عن مجمع اللغة التركية (أنقرة، طبعة جديدة، 1988)، جاء شرح المصطلح وفق دلالته المركزية السابقة، دون أيّة إشارةٍ إلى المعنى اللاحق الذي تطوّر إليه اللفظ في الإيالات المغربية[67].

7 ـ وفي (**معجم وموسوعة لاروس الكبرى**) استانبول 1992[68]، يرد شرحٌ موجزٌ للمصطلح بدلالته المركزية الأولى أيضاً. كما تليه مادتان قصيرتان عن كل من: مصطفى قول أوغلى (شاعر شعبي تركي، القرن 17)، ومصطفى قول أوغلى أفندي (شاعر تركي ومتصوف، القرن 17)[69].

8 ـ ونجد مثل ذلك أيضاً في (**موسوعة كُتّاب تركيا**)، وهي عملٌ معاصرٌ يضمُّ تراجم (3218) شاعراً وكاتباً وأعمالهم (أنقرة 2001)، ولئن كان جلُّهم ـ فيما يبدو ـ من المعاصرين، فإنّها تشمل أيضاً العديد من القدامى الذين ينفرد بينهم في هذا العمل أحد (شعراء الساز)[70]، بلقب (قول أوغلى) سليمان الذي يعود أيضاً، كسابقيه أعلاه، إلى (القرن 17)[71].

---

67 - Ataturk Kultur , Dil ve Tarih Yuksek Kurumu - Turk dil Kurumu , **Turkce Sozluk ,** Yeni Baski , Ankara 1988 , c. 2 s. 925.

68 - وهو عمل اتخذ من الموسوعة الفرنسية أساساً، ويقع في 24 مجلداً تضم (12784) صفحة بحرفٍ دقيق ناعم.

69 - **Buyuk ve Ans Larousse Sozluk iklopedisi ,** Istanbul 1992 , c. 14 s. 7148.

70 - شعراء الساز: ساز: (تركية ـ فارسية الأصل): كل آلة من الآلات الموسيقية. انظر: د. عبد النعيم محمد حسنين، **قاموس الفارسية (فارسي ـ عربي)** بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1402 هـ/ 1982م. أي الشعراء الشعبيون المنشدون على الآلات الموسيقية. ولجمعهم بين العزف وقول

***

وخلاصة القول في هذا المقام أخيراً: يمكن الخروج بملاحظتين أساسيتين عن هذه المرحلة الأولى لدلالة المصطلح:

أولاهما: أنّه مصطلحٌ عثمانيٌ مركزيٌ أصيلٌ في نشأته وظهوره ودلالته الأولى (العسكرية) المجرّدة على (أبناء الجند).

وثانيتهما: أنّ دلالة المصطلح في هذه المرحلة أحاديةٌ اعتياديةٌ داخل المجتمع العثماني المركزي، ولا تتضمّن بالضرورة أيّ إيحاءٍ بمعنى (المولّدين) بين شريحتين متمايزتين من الآباء / والأمهات؛ وهو المضمون الذي ستفرزه المرحلة المغاربية اللاحقة.

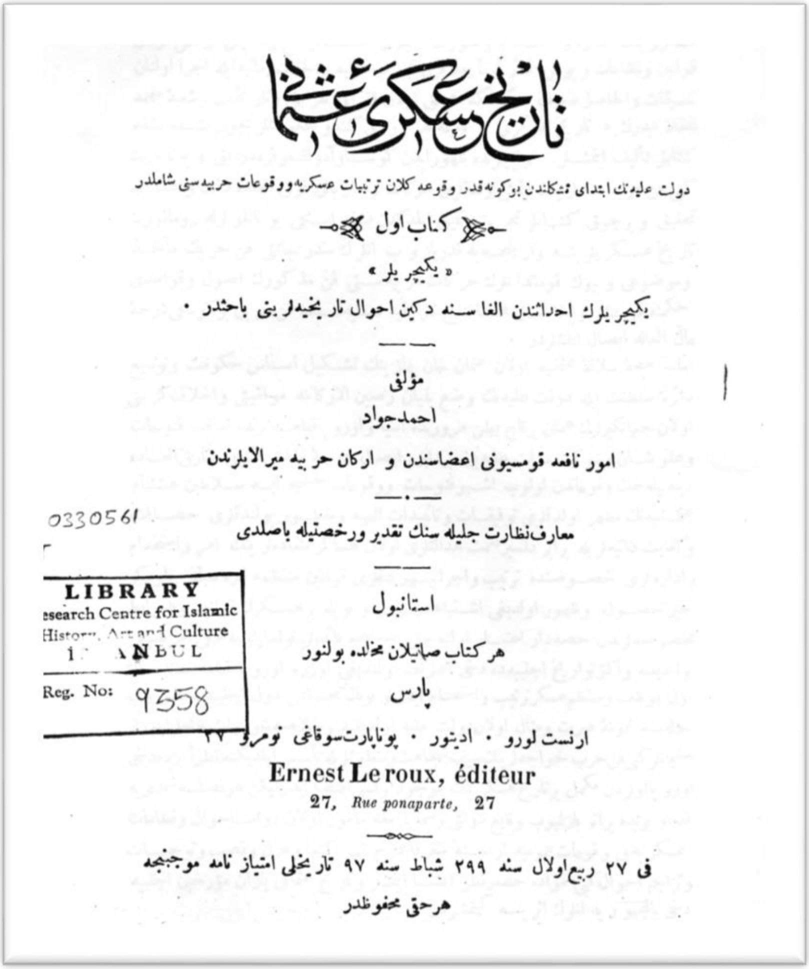
(ملحق عثماني مصوّر)

الشعر عرفوا بالشعراء الشعبيين، وقد كان شعراءُ (الساز) يتجولون بالمدن والقصبات وينشدون الأشعار في المقاهي. انظر:

Mehmt Zeki Pakalin ,**Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri Sozlugu** , c 3, s. 134.

(معجم التعابير والمصطلحات التاريخية العثمانية) تقدم التعريف به أعلاه.

[71] - Ihsan Isik , **Turkiye Yazarlar Ansiklopedisi** , Ankara 2001 , s.608.



تاريخ عسكرى عثمانى

دولت عليه‌نك ابتداى تشكلندن بوكونه‌قدر وقوعه كلان ترتيبات عسكريه‌ووقوعات حربيه‌سنى شاملدر

كتاب اول

« يكيچريلر »

يكيچريلرك احداثندن الغاسنه دكين احوال تاريخيه‌لرينى باحثدر .

مؤلفى

احمدجواد

امور نافعه قومسيونى اعضاسندن و اركان حربيه ميرالايلرندن

معارف‌نظارت جليله سنك تقدير ورخصتيله باصلدى

استانبول

هر كتاب صاتيلان محلده بولنور

پارس

ارنست لورو . اديتور . پوناپارت‌سوقاغى نومرو ۲۷

Ernest Le roux, éditeur

27, *Rue ponaparte,* 27

فى ۲۷ ربيع‌الاول سنه ۲۹۹ شباط سنه ۹۷ تاريخلى امتياز نامه موجبنجه

هرحق محفوظدر

(التاريخ العسكري العثماني ـ الكتاب الأول: الإنكشارية من التأسيس إلى الإلغاء) ـ (استانبول / باريس 1299هـ/ 1882م) ـ (لوحة 1)

= ١٢٢ =

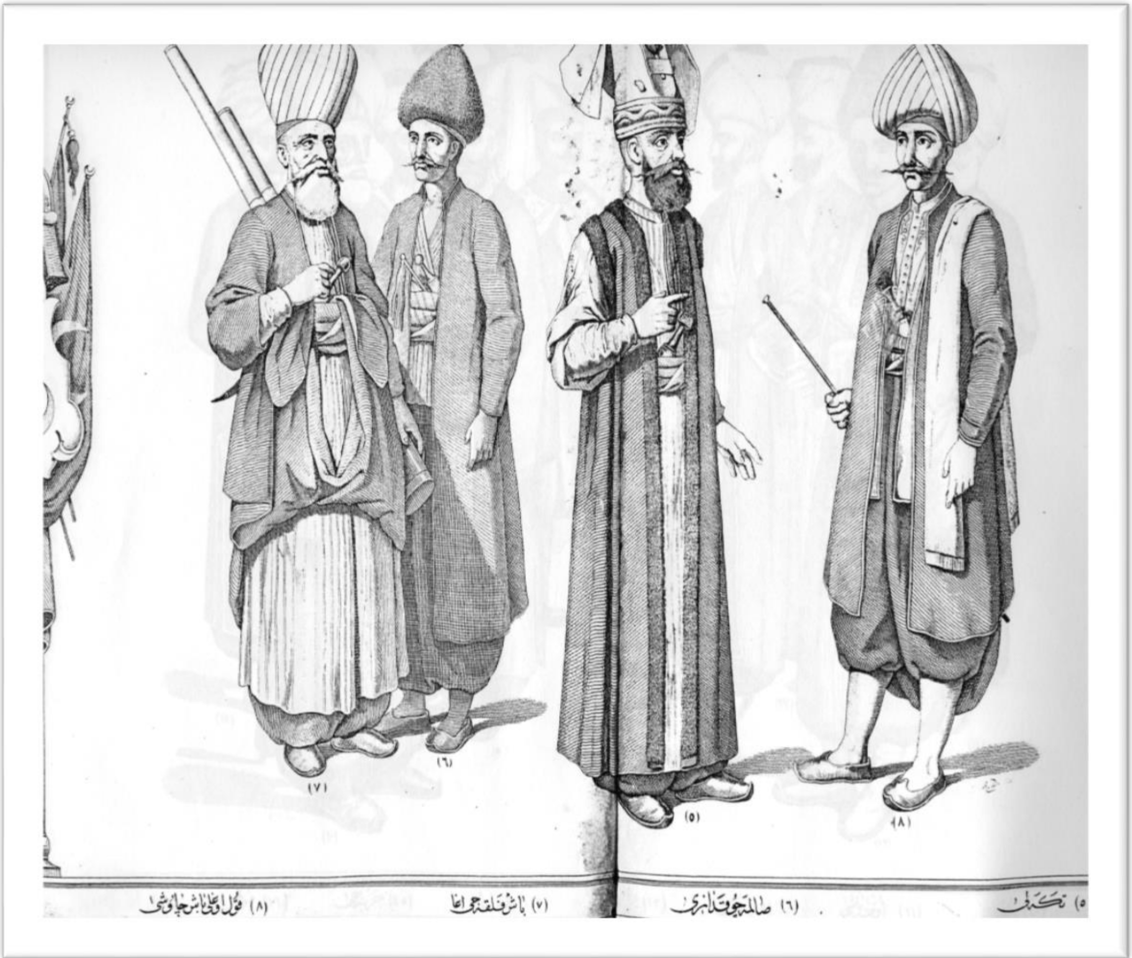
(قول اوغلی باش چاوشی)

ثانئ سلاطین ال عثمان سلطان اورخان حضرتلری پیاده اولەرق مسلم ویکیچری ترتیب وتحریر بیورمش اولدقلری عسکرك صکرەلری، خدمات دولته عدم کفایتی جهتله ثالث خواقین آل عثمان برنجی سلطان مرادخان حضرتلرینك زمانلرنده روم ایلی یاقەسنده رفته رفته توسیع ممالك ایله کثرت اوزره النان اسرانك بروجه شرعی بشده بری طرف دولته ترك اولندیغندن بونلردن دخی بلوك وطابورلر کشاد اولنەرق پنجکلی قول تسمیه اولنمش ایدی ۰ اشته بو پنجکلی قول طاقمنك ملك وملت ایچنده تجمیلکاری وعادات بلدیەیه عدم وقوفلری وعلی الخصوص طوایف عسکریەنك شان وشرفنی کوزتمك دولتك اقدم افکاری بولندیغندن بونلرك اسواق وپازارده کشت وکذارلرنده برطرفدن حقلرنده معاملهٔ بارده وقوعه کتورلمامسی وبونلر طرفندن دخی یکیچری وعسکری ناموسنه ایراث شین ایدر برحالات ظهور ایتمامسی واویغو نسز برلرده کزلمامسی ووقت وزمانیله قشلەلرینه کیتملری کبی شیلرك تجسس واجرا آتنه مومی الیه قول اوغلی باش چوقداری مأمور ایدلمشیدی۰ مومی الیه باشنه تپەسی قرمزی ویومری وسیوری واغزی اکلی بیاض صارق وارقەسنه داریکلی اوز ون اتکلی جبه واپاغنه بول شلوار کیر و بلنه مرجانلی قامه طاقار ایدی ۰ صحیفهٔ اشکال (٢) ده (٨) نمرو ایله رسمی ارائه قلنمشدر ۰

(تکەلی)

کلاهی کتخدا بکك کلاهنه مشابه ایسەده بونك فقط صورغوجی اولوب تماماً

(من الفصل الرابع عشر: عن الألبسة) ـ (لوحة 2)



(من لوحات الملابس لدى الإنكشارية / وبينهم قول اوغلى باش جاوشي)
(الأيمن رقم 8) ـ (لوحة 3)

الفصل الرابع

الدلالة المغاربيّة العرقيّة: المولّدون

[المرحلة الثانية]

لقد اتسعت دلالة المصطلح في هذه المرحلة عمّا كانت عليه في المرحلة السابقة؛ إذ أُطلِقَ ـ كما هو معروفٌ متداولٌ ـ على الأبناء المولّدين من زواج جنود الإنكشارية القادمين إلى الإيالات العثمانية المغاربية (طرابلس وتونس والجزائر) بالنساء الوطنيات / المحليات؛ لذا أشار إليهم المؤرخ ابن غلبون ـ على سبيل المثال ـ في أول موضعٍ من كتابه - كما سيلي أدناه - بهذه الصفة الدّالة: (بنو الجند المسمّون القول أوغلية) التي تذكِّرُنا حقّاً بنشأة الدلالة المركزية الأولى للمصطلح. ولعلّ هذه الإشارة الموجزة المدخلية خيرُ تأويلٍ أوليّ مجملٍ مقنعٍ لظهور هذا المصطلح العثماني الوافد ـ وهو من الدخيل اللغوي ـ في هذه الأقطار العربية، خلافاً لأيّ تفسيرٍ آخر متعسِّفٍ لا يتّسِقُ مع الدرس اللغوي الرصين. بَيْدَ أنّه تنبغي الإشارة الموجزة أولاً في هذا السياق، إلى هذه النقاط الثلاثة المهمّة اللازمة لتأطير النقاش؛ وهي:

(أ) ـ ظاهرة المولّدين في التاريخ الإسلامي.

(ب) ـ غياب ظاهرة القولوغلية في إيالات المشرق العربي العثمانية.

(ج) ـ مجمل التحوُّلات السياسية في الإيالات المغربية.

***

(أ) ـ ظاهرة المولّدين في التاريخ الإسلامي:

ثمة حقيقة اجتماعية ظاهرة لا خلاف عليها؛ مؤدّاها: "أنّه ما التقى شعبان واندمجا في حضارةٍ موحّدةٍ جامعةٍ إلا ظهرت بينهما شريحةٌ اجتماعيةٌ ثالثة؛ قوامُها أولئك الأبناء المولّدون من التزاوج بين الطرفين". وليس من الضرورة الاستطراد بعيداً في تاريخ الأمم والشعوب، ويكفي في هذه العجالة أن أشير بإيجازٍ إلى ظاهرة المولّدين في التاريخ الإسلامي الذي تُعَدُّ الدولة العثمانية ـ دون مراءٍ ـ آخرَ تجلِّياته المركزية الكبرى الجامعة لمزيجٍ مركّب من مختلف الأعراق والشعوب.

وقد عُنِيَ العالم الجليل الأستاذ أحمد أمين بتجذير هذه الظاهرة في كتابه المعروف (**ضحى الإسلام**)، وأشار في الفصل الأول ـ من الباب الأول ـ الذي جعله لـ(سكان المملكة الإسلامية في هذا العصر) إلى بوادر هذا الامتزاج العرقي بين العرب والفرس - على نطاقٍ محدودٍ - قبيل الإسلام، فقال (نقلاً عن **لسان العرب**) لابن منظور: "وقديماً ظهر باليمن عنصر سمّاهم العرب "**الأبناء**؛ وهم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذي يزن لمّا جاء يستنجده على الحبشة، فنصروه وملكوا اليمن، وتديّروها وتزوّجوا في العرب، فقيل لأولادهم الأبناء. وغلب عليهم هذا الاسم لأنّ أمّهاتهم من غير جنس آبائهم". ومن مشهوري العلماء في الأبناء: طاووس وابن كيسان، ووهب بن منبه التابعيان ـ

غير أنّ هؤلاء الأبناء كانوا من أبٍ فارسيٍّ وامٍّ عربيةٍ يمنيةٍ، والمولّدون في عصرنا العباسي كان أكثرُهم من أبٍ عربيٍّ وأمٍّ أعجمية[72].

ويبيِّن المقصود بقوله: "ونعني بالتوليد؛ أن يتزوّجَ رجلٌ من أمّةٍ وامرأةٌ من أمّةٍ أخرى فينشأُ بينهما نسلٌ يجري في عروقه دم الأمّتين. وقد امتاز العصر العباسي الأول بكثرة هذا الجيل من الناس. وكان هذا التوليد ظاهرةً قويّة؛ نتجت عن اختلاط الأجناس، ومن نظام الرقِ والولاء الذي طُبِّقَ عقب الفتح الإسلامي، فقد أصبح البيت الإسلامي ـ وخصوصاً بيوت الخلفاء، والأمراء، والأغنياء ـ **(عصبة أمم)** تنتج من النسل ما يحمل خصائص الأمم المختلفة"[73].

و"من هذا الاختلاط الذي أبنّا طرفاً منه؛ نشأ جيلٌ جديدٌ يحمل ميزات خاصّة، حتى بعض الخلفاء أنفسهم كانوا من هذا الصنف... ـ ومنهم على سبيل المثال ـ: مروان بن محمد ابنُ أَمَةٍ كرديّة، وأبو جعفر المنصور وأمُّه بربريةٌ اسمها سلامة، وموسى الهادي وهارون الرشيد وأمُّهما الخيزران وهي سبيّة من خرشنة، والمأمون وأمُّه أَمَةٌ تُسمّى مراجل، والمعتصم وأمُّه أَمَةٌ تُسمّى ماردة، والواثق وأمُّه امَةٌ تُسمّى قراطيس، والمتوكل وأمُّه أَمَةٌ تُسمّى شجاع. ومثل ذلك في العلماء، والشعراء .."[74].

---

[72] - أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ط 8 القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1974، ج 1 ص 13 ـ 14.

[73] - **المصدر نفسه**، ج 1 ص 9.

[74] - **المصدر نفسه**، ص 11.

وقد "خضع هذا الصنف من المولّدين لقوانين (الوراثة) فكسب من آبائه وأمّهاته صفاتٍ خاصّة، وكان صنفاً ممتازاً. والعرب من قديمٍ آمنوا بأنّ الزواج بالأباعد خيرٌ من الزواج بالأقارب. ورُوي في الخبر: اغتربوا لا تضْوُوا[75]... والواقع أيّدَ هذه النظرية: فالمولّدون في العصر العباسي، كانوا من أظهر العناصر، ولهم ميزاتٌ مختلفة، في أجسامهم، وعقولهم، وصناعاتهم، وذلك باختلاف أمّهاتهم.."[76].

وعلى المستوى اللغوي نقف في (**المعجم الوسيط**) الصادر عن (مجمع اللغة العربية) بالقاهرة على المادّة التالية: "**المولّدُ**: المحدث من كلِّ شيء. ومنه المولّدون من الشعراء؛ سمُّوا بذلك لحدوثهم. ومن الرجال: العربيُّ غيرُ المحض. ومن وُلِدَ عند العرب ونشأ مع أولادهم وتأدّبَ بآدابهم. ومن الكلام: كلُّ لفظٍ كان عربيّ الأصل ثم تغيّرَ في الاستعمال. واللفظُ الذي استعمله الناس بعد عصر الرواية"[77]. وفي (**المعجم**) نفسه أيضاً: "الأبناء: أولادُ قومٍ من الفرس سكنوا اليمن وتزّوجوا في العرب".

---

[75] - في الحاشية: معناه تزوجوا في البعاد الأنساب، لا في الأقارب. قال في اللسان: "وذلك أنّ العربَ تزعم أنّ ولد الرجل من قرابته يجيءُ ضاوياً، نحيفاً".

[76] - **المصدر نفسه**، ص 12.

[77] - عن (المولّد) في اللغة، وصلته (بالمولّدين) في النسيج الاجتماعي، خلال القرون الأولى من التاريخ العربي الإسلامي، انظر المزيد من التفاصيل في العمل القيّم التالي: الدكتور حلمي خليل، **المولّد في العربية: دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام**، ط 2 بيروت: دار النهضة العربية، 1405هـ/ 1985م، (726 ص).

ومن الجليّ الظاهر أنّ من أبرز فئات المولّدين في (الفضاء العربي) من تاريخنا الإسلامي:

- مَنْ كان بين العرب والفرس وغيرهم من العجم في المشرق.
- والعرب والبربر وغيرهم من الأفارقة في المغرب.
- والعرب والإسبان وغيرهم من الإفرنج في الأندلس.
- وشريحة (المماليك) الواسعة التي تُلحَقُ مع أبنائها بالمولّدين، وقد أمسكت بمقاليد السلطة في مصر ما يقربُ من ثلاثة قرون.
- وشريحة القولوغلية التي ظهرت في المغرب العربي خلال العهد العثماني، وهي موضوع هذه الدراسة.

ومن طريف المفارقات أن نقف في هذا السياق ـ مع اختلاف الظروف والملابسات ـ على هذا الشبه الملحوظ بين أولئك (الأبناء) المولّدين من آباء [جنود] من الفرس وأمّهاتٍ عربياتٍ في اليمن قبيل الإسلام، والقولوغليّة (أبناء الجند / أو أبناء الإنكشارية) من أمّهاتٍ عربياتٍ بالإيالات المغربية في العهد العثماني. وخلاصة القول في هذا المقام إنّ شريحة القولوغليّة في المغرب العربي ليست حالة اجتماعية مفردة منبتّةً لا جذور لها، ولكنّها حلقةٌ لاحقةٌ في سلسلة هذه (الظاهرة) الاجتماعية الكبرى التي كانت من أبرز عوامل التطور والتنوُّع والثراء في تاريخنا الإسلامي.

ومثلما كان المولّدون من اختلاط العرب والعجم قلّةً في صدر الإسلام، ثم ازدادوا ظهوراً في العصر العباسي، كان القولوغليّة أيضاً حالاتٍ محدودةً غالباً

في العقود الأولى من الوجود العثماني بالمغرب العربي، ثم تكاثرت جموعُهم حتى غدوا شريحة اجتماعية مؤثرة بارزة، تمكّنت في إيالة طرابلس ـ على وجه الخصوص ـ من خوض الصراع السياسي مع آبائها وغيرهم من مناوئيها، والاستيلاء على السلطة في العهد القرمانلي.

(ب) ـ غياب (ظاهرة) القولوغليّة في إيالات المشرق العربي العثمانية:

ثمة سؤالٌ جوهريٌّ يطرحه السياق في هذا المقام أيضاً: لماذا ظهرت طائفة القولوغلية في الإيالات المغربية وعُرِفَ أمرُها في التاريخ العربي الحديث، ولم تظهر بهذا الحجم في إيالات المشرق العربي، مع أنّ الفضاء السياسي واحدٌ متشابهٌ وقاسمٌ مشتركٌ بينهما في العهد العثماني ؟

يبدو أنّ الظروف الجغرافية؛ أي بُعد الإيالات المغربية (طرابلس وتونس والجزائر) عن مركز الدولة العثمانية، كانت هي السبب البارز لزواج جنود الإنكشارية من النساء المحليات وظهور هذه الطائفة المولّدة من أبنائهم فيها؛ لقدومهم عن طريق البحر، وطول إقامتهم بها، وتعذُّر العودة (الزيارة) السريعة لذويهم. في حين كانت فرق الإنكشارية في إيالات المشرق قريبة من مواطنها الأصلية، وتقدم وتعود برّاً ولا تطيل الإقامة في تلك الإيالات. كما تلفت النظر أيضاً إشارات بعض الباحثين المعاصرين إلى كثرة امتزاج فرق الإنكشارية بالأهالي في تلك الإيالات المشرقية:

ـ ففي **الموصل** - وهي أولى الإيالات العربية (1514م)، وأقربُها إلى مركز الدولة العثمانية - يشير الدكتور عماد عبد السلام رؤوف الذي خصّ (**الموصل**

في العهد الجليلي) بدراسةٍ قيّمةٍ، إلى ذلك بقوله: "وبلغ الأمر أن تحوّل الجيش نفسُه إلى عساكر محليةٍ موصليةٍ في أردية أورطات الينكجرية"[78]، وقوله: "يبدو أنّ أورطات الينكجرية خلال عهد آل الجليلي لم تعد سوى سكان الموصل أنفسهم بأزياء عسكرية، فقد اكتسبت كلُّ هذه الأورطات منذ استقرارها في الموصل نفس مؤثرات بيئتها الاجتماعية"[79].

ـ وفي **دمشق** يشير الدكتور عبد الكريم رافق إلى ظهور جماعات **الإنكشارية المحلية (اليرلية)**[80] التي نافست الإنكشارية الأصلية في مهامها ـ وكأنّهم بديلٌ موضوعي عن القولوغلية في المغرب -: "وأبدت الدولة آنذاك، على أكثر من صعيدٍ، نشاطاً ملحوظاً في عهد الوزراء العظام من آل كوبريلي (1656 ـ 1676)، وأرسلت فرقاً إنكشارية جديدة إلى دمشق، تميّزت بالولاء للإدارة المركزية، وعُرفت بالقابي قول (أي عبيد الباب، وهو باب السلطان)، وتمركزت في القلعة وعلى السور وعند أبواب المدينة. وأخرجت الطائفة الإنكشارية اليرلية من هذه المراكز وأوكل إليها نظرياً حراسة منازل الحج. وهكذا أصبح في دمشق طائفتان إنكشاريتان:

---

[78] - عماد عبد السلام رؤوف، **الموصل في العهد العثماني**: **فترة الحكم المحلي (1139 ـ 1249هـ/ 1726 ـ 1834م)**. النجف الأشرف: مطبعة الآداب، 1395هـ/ 1975م، ص 56.

[79] - **المصدر نفسه**، ص 245.

[80] - **اليرلية**: من التركية (يرلى)؛ وهي مركّبة من: (ير) محل، موضع، مكان، واللاحقة (لى) التي تفيد النسبة إليه: محلي (من الأهالي). شمس الدين سامي، **قاموس تركي**، استانبول 1317، ص 1548. وفي التركية الجديدة: Yerli.

الإنكشارية اليرلية، أي المحلية، التي أصبح معظم أفرادها من السكان المحليين، والإنكشارية القابي قول التي بقي ولاؤها للإدارة المركزية"[81].

ولئن كانت هذه الإفادة تنفي وجود (**ظاهرة**) القولوغليّة في المشرق، على مستوى الحجم البارز الذي كانت عليه في المغرب، فإنّ هذا - فيما يبدو جليّاً - لا يعني خلوَ الإيالات المشرقية من هذه (الطائفة / أي أبناء الجند) على مستوى (الأفراد / أو الجماعات الصغيرة) التي لا تشكِّل (ظاهرة) اجتماعية بارزة في النسيج الاجتماعي للسكان؛ إذ جاء في موضع لاحقٍ من هذه الدراسة نفسها أيضاً: "ونتج عن اندماج الانكشارية بالسكان المحليين أنّ كثيراً من الانكشارية تزاوجوا مع هؤلاء السكان، وأقاموا في بلاد الشام، وأصبح عددٌ منهم ومن أبنائهم من علمائها المشهورين"[82].

أليس هؤلاء الأبناء - لغوياً - من القولوغلية ؟

ـ وفي **مصر** التي تعدّدت فيها فرق الجيش العثماني تستوقفنا حقّاً تلك الإشارات الموثقة إلى المصاهرات العديدة بين الجنود والأهالي استناداً إلى الوثائق الغزيرة **لسجلات المحاكم الشرعية**. إذ يذكر الدكتور عراقي يوسف محمد - على سبيل المثال: "أنّ نفراً من الانكشارية والعزب سواءً من الأفراد أو الأوداباشية قد صاهروا المدابغية والشمّاعين والحصرية والطحّانين

---

[81] - د. عبد الكريم رافق، "مظاهر من الحياة العسكرية العثمانية في بلاد الشام من القرن السادس عشر حتى مطلع القرن التاسع عشر"، مجلة **دراسات تاريخية** (دمشق) العدد الأول (ربيع الثاني 1400هـ/ آذار - مارس 1980م) ص 66 ـ 95، وخاصة ص 68 - 69.

[82] - **المصدر نفسه**، ص 93.

والترزية، كما صاهر نفرٌ من عزب السويس والمستحفظان المراكبية والجلافطة (نقاشو السفن والمراكب). بينما صاهر الأجناد العاملون في ميدان التجارة زملاءهم من التجّار المصريين، فقد صاهر نفرٌ من الإنكشارية والعزب والجراكسة والتوفكجية والكوملية شيوخ سوق جامع ابن طولون وتجّار الفواكه والخضروات والزيوت وكذلك تجّار الرقيق في خط خان الخليلي"[83].

وفي دراسة الدكتور سيِّد محمد سيّد عن (**مصر في العصر العثماني ـ في القرن 16**) التي توسّع فيها في الاستفادة من **وثائق الأرشيف العثماني** باستانبول، وقد التقينا بها أعلاه، يظهر صراحة وجود فرقةٍ بين فرق الجيش العثماني باسم (**جماعة قول اوغلى وجماعة قول قارنداشي في إيالة مصر**) أيضاً. فقد اضطرت "الإدارة المركزية إلى استحداث جماعتين عسكريتين لمواجهة مثل هذه الاحتياجات المتزايدة من الجند في تلك المناطق المضطربة، إذ شُكِّلت هاتان الجماعتان من أقرباء عسكر الدركاه العالي، واشترط على من ينضمُّ إليهما أن يباشر مهامه في ولايات الدولة المضطربة. وقد عُرفت الجماعة الأولى باسم (قول اوغلى) أي أبناء الخدم، والجماعة الثانية عُرفت باسم (قول قرنداشى) أي إخوة الخدم. وقد كان مركز جماعتي قول اوغلو وقول قارنداشى إيالة مصر، حيث كان الجنود يتناوبون العمل في

---

[83] - د. عراقي يوسف محمد، **الوجود العثماني في مصر في القرنين السادس عشر والسابع عشر (دراسة وثائقية).** القاهرة: بيت الحكمة للإعلام والنشر، 1416هـ/ 1996م، 318 ـ 321.

ولايات الدولة الشرقية وبالخاصة اليمن والحبشة وطرابلس غرب، كلّ ثلاثِ سنواتٍ مرّة، ثم يعودون بعد ذلك إلى مقرِّهم في مصر"[84].

غير أنّه يُستشَفُّ من السياق أنّ هذه الإفادة المتميّزة التي استند فيها الباحث إلى (دفتر المهمة سنة 975هـ، وكتاب الدكتور أوزون جارشيلي عن أوجاقات القابي قول الذي تقدّم التعريف به أعلاه) تشير - فيما يبدو - إلى أنّ هاتين الجماعتين قادمتان من مركز الدولة العثمانية ؟

ويبدو كذلك أنّ فئة القولوغلية لم تكن شائعةً بارزة - بهذا الاسم - في النسيج الاجتماعي لسكان مصر؛ وهو ما يفسِّر غياب هذا المصطلح العثماني غالباً عن (**معجم المؤرخ**) عبد الرحمن الجبرتي الذي استوعب كثيراً من تلك المصطلحات في كتابه عجائب الآثار؛ وفقاً للقراءة اللغوية الطريفة الجامعة للدكتور أحمد السعيد سليمان: (**تأصيلُ ما وردَ في تاريخ الجبرتي من الدخيل**)، القاهرة [1979]، 222 ص.

ومهما يكن من أمرٍ، فالخلاصة المعنية في هذا المقام أنّ (**أبناء الجند**) على اختلاف أسماء الفرق العسكرية التي ينتمي إليها الآباء، لا بدّ أن يُوجدَ منهم كثيرٌ أو قليلٌ في الإيالات المشرقية أيضاً؛ استناداً إلى ما تشير إليه وثائق ذلك العهد ومصادره من الاختلاط والمصاهرة بين فرق الجيش العثماني والأهالي. غير أنّ طائفة القولوغلية (أي أبناء الإنكشارية)، على وجه

---

[84] - د. سيّد محمد سيِّد، **مصر في العصر العثماني في القرن السادس عشر: دراسة وثائقية في النظم الإدارية والقضائية والمالية والعسكرية** (سبق ذكره) ص 328 ـ 329.

الخصوص، لم يبرز وجودها (كظاهرةٍ) بارزة في النسيج الاجتماعي للسكان في الإيالات المشرقية، وإنّما كانت فئاتٍ قليلةً ضمن غيرها من الفئات الهجينة المماثلة.

كما تنبغي الإشارة أخيراً في هذا المقام أيضاً إلى أنّ الأستاذ المؤرخ محمد مصطفى بازامة ـ رحمه الله تعالى ـ قد كان حصيفاً حقاً في احترازه بتلك العبارة: "وهم ـ **كظاهرة** ـ اقتصر وجودهم وتسميتهم بالكراغلة على هذه الأقطار الثلاثة وحسب من الوطن العربي". إذ لم يكن يعني ـ فيما يبدو من عبارته ـ نفيَ وجود مثل هذا النسل الهجين في المشرق العربي على سبيل الإطلاق.

(ج) ـ التحوّلات السياسية في الإيالات المغاربية خلال العهد العثماني:

كانت السلطة في مطلع العهد العثماني ـ في كلِّ الإيالات المغاربية ـ بيد الوالي (البايلرباي) المعيّن من استانبول (في العثمانية: بكلربكى - بكافين يائيين، وفي التركية الجديدة **Beylerbeyi**)، ويعني أمير الأمراء، أو رئيس أمراء السناجق[85]. وهو لقبٌ من الألقاب القديمة التي أُطلقت على الحاكم في الدول الإسلامية (التركية)، وأُطلق في العهد العثماني على الآمر

85 ـ Mehmet Ipsirli, "Beylerbeyi", Turkiya Diyanet Vakfi, **Islam Ansiklopedisi**, c. 6 (Istanbul 1992) s. 63 – 74.
(دائرة المعارف الإسلامية ـ الإصدار الثاني، مادة بايلرباي).

العسكري والإداري في (الإيالة)، وهي أكبر وحدةٍ إداريةٍ في التشكيلات العثمانية، وتتشكّلُ من عدّة سناجق[86].

وعندما ضعف ارتباطها بمركز الدولة العثمانية ظهر في حياتها السياسية لقب الداي (طايي ـ بطاء تقرب من الدال لفظاً DAYI)[87]، ويعني: الخال، والمدافع، والشجاع. وقد أُطلق على أولئك المنتخبين من طرف أعضاء الديون محلياً / أو الواثبين على السلطة. ويشير عزيز سامح (إلتر) إلى أنّ: "بدعة الداي ظهرت أولاً في تونس، ثم طُبِّقت في طرابلس، ثم في الجزائر. ولئن انقطعت في تونس وطرابلس بقيام أسرتين حاكمتين فيهما، فقد استمرّ حكم الدايات في الجزائر حتى آخر لحظة"[88]. وقد وُصِفَ نظامُ الدايات المطبّقُ في طرابلس وغيرها من الإيالات المغاربية بالجمهورية، والجمهورية العسكرية[89].

---

86 - Halil Inalcik, "Eyalet", TDV, **Islam Ansiklopedisi**, c. 11 (Istanbul 1995) s. 548 – 550. (المصدر نفسه، مادة إيالت).

87 - Mehmet Maksudoglu, "DAYI", TDV**, Islam Ansiklopedisi**,c.9 (Istanbul 1994) s.59 – 60. (المصدر نفسه، مادة داي).

88 - عزيز سامح، **الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية**، ترجمة عبد السلام أدهم، بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، 1969، ص 292 ـ 293.

89 - شارل فيرو، **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي**، نقلها عن الفرنسية وحققها بمصادرها العربية ووضع مقدمتها النقدية الدكتور محمد عبد الكريم الوافي، ط 2 طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع، 1983، ص 313 ـ 314، 353 ـ 354.

وقد كان ولاة العهد العثماني الأول في طرابلس (ليبيا) مزيجاً من الولاة (الباشاوات) القادمين من الآستانة، والدايات المنتخبين محليّاً / أو الواثبين على السلطة. وفي فترة الدايات كان الصراع على السلطة بين فئتين؛ وهما الأتراكُ / والمهتدون الجدد إلى الإسلام (أو الأعلاج) الذين يسمِّيهم المؤرخ ابن غلبون أيضاً بالروم: "إنّما قاتلنا لنزع الملك من أيدي الروم وتمكين الترك منه"[90]. ثم لم تلبث أن انضمت إلى هاتين الفئتين شريحةٌ ثالثة، وهم أبناء الجند (القولوغلية) الذين كانوا عنصراً مؤثراً (مع آبائهم / أعمامهم) في الجيش، وفئةً قريبة (من أخوالهم) الأهالي.

وتبدو تلك المرحلة المذبذبة القلقة في أواخر فترة الدايات مقدِّمة طبيعية للحركة الاستقلالية المبكرة التي قام بها أحمد باشا القرمانلي، وهو من القولوغلية، إذ استطاع أن يستقل نسبياً بحكم الإيالة، فتحوّل نظام الدايات إلى حكمٍ وراثيٍّ في أسرته التي تعرّبت مع الزمن، كما تعرّب غيرها من الأسر القولوغلية. ومن هنا يمكن القول من (**منظور التاريخ السياسي**) إنّ القولوغلية / أو أبناء الجند كانوا يمثلون ـ بعد الولاة (الباشاوات)، والدايات ـ **المرحلة الثالثة** من أشكال النظام السياسي الحاكم في الإيالة خلال العهد العثماني. وأنّ حكم الأسرة القرمانلية الذي استمرّ أكثر من مائةٍ وعشرين عاماً كان (أهمّ مظهرٍ سياسيٍّ) لهذه الفئة الاجتماعية المولدة، في حين كانت

[90] - ابن غلبون، **التذكار**، ص 206.

شرائح القولوغلية (أبرز أثرٍ اجتماعي) للوجود العثماني في مجمل الإيالات المغاربية.

خلاصة تطور النظام السياسي في طرابلس العثمانية

المرحلة الأولى	المرحلة الثانية	المرحلة الثالثة	المرحلة الرابعة
العهد العثماني الأول الولاة / الباشاوات (مركزي مباشر)	العهد العثماني الأول الدايات (محلي / جمهورية عسكرية ؟!)	العهد القرمانلي أبناء الجند / القولوغلية (نظام وراثي / شبه مستقل)	العهد العثماني الثاني الإيالة / الولاية (مركزي مباشر)

وقد كان قولوغلية الساحل والمنشية الحليف الأقوى لدعم هذه الأسرة (القرمانلية) في مقابل إعفائهم من الضرائب، لذا سرعان ما أعلنوا العصيان والتمرُّد عندما أقدم يوسف باشا في سنواته الأخيرة على فرض بعض الضرائب عليهم تحت ضغط الديون الأوربية، وتطوّر الأمر إلى حرب أهليةٍ خُتم بها العهد[91]، أي مثلما كان القولوغلية الساعد القوي الأيمن لنشأة الدولة القرمانلية، كانوا هم أنفسُهم أيضاً معول هدمها عندما آذن نجمها بالأفول.

[91] – وهي تشكل مادة الجزء الثاني من (**اليوميات الليبية**) لمؤرخها الراصد المعاصر حسن الفقيه حسن.

ومن هنا جاء عنوان ذلك الأثر المخطوط للمؤرخ محمد مصطفى بازامة - رحمه الله تعالى - (**الكراغلة: بُناة العهد القرمانلي ومُقوِّضوه**).

المصادر التاريخية

تتعدّد المصادر التاريخية (الوثائقية / والأدبية) التي واكبت ظهور المصطلح، ورصدت دلالته المغاربية الشائعة التي نقف عليها في النماذج التالية:

1 ـ المصادر الوثائقية:

(أ) ـ الوثائق الأولى المبكرة عن ظهور شريحة القولوغية في الإيالات المغربية (من خلال دفاتر المهمه):

لعلّ أولى الخطوات في هذا السياق التوثيقي أن نقف على أقدم الإشارات المبكرة إلى بدايات ظهور هذه الشريحة الاجتماعية المولّدة في الإيالات / أو الأوجاقات المغاربية. ومن حسن الحظ أنّني وجدتُ بين المجموعة القيّمة من وثائق دفاتر المهمة (**مهمه دفترى**) التي نقلها المؤرخ الحركي الدؤوب الدكتور عبد الجليل التميمي إلى العربية عن (**عثمنة إيالات الجزائر وتونس وطرابلس**) بعض النماذج المبكرة من تلك الإشارات المؤمّلة. ويتمثل الأمر في وثيقتين تعود أولاهما إلى سنة (988هـ/ 1580م) وهي عن الجزائر، وتعود الأخرى إلى سنة (999 هـ/ 1591م) وهي عن طرابلس. وهكذا تدلُّ هاتان

الوثيقتان على ظهور هذه الشريحة الجديدة المولّدة في الإيالتين المذكورتين منذ أواخر القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي.

- **عن الجزائر**:

دفتر المهمة 43، ص 125؛ 27 جمادى الأولى 988هـ/ 10 جويلية 1580م.

الموضوع: **حول النزاع القائم بين الكراغلة وطائفة الإنكشارية بالجزائر**:

"هذا حكمنا الشريف إلى بايلرباي إيالة الجزائر: لقد سبق أن عُيّنَ في إيالة الجزائر وكيل لطائفة الكراغلة، إلى جانب طائفة الإنكشارية ورؤساء المواني والبحارة، حيث إنّها أصبحت تشكِّل فرقاً عسكرية وتمّ ضمُّها جميعاً إلى فئة الإنكشارية ووكلائهم. وعليه منذ التحاق فئات الكراغلة وريّاس المواني إلى الإنكشارية، أصبحوا في نزاع واختلافٍ دائم، وظهرت الفتنة بين صفوفهم حسب ما وصل إلى مسامع عتبتنا العالية. وعليه عند وصول أمري هذا نأمركم بإرجاع الأحوال [إلى] ما كانت عليه من قبل، وجعل كل طائفة عسكرية مستقلة عن الأخرى، وليُعيّن على رأس كل طائفة وكيلٌ خاص بها لتجنُّب الاختلاف والفتنة"[92].

- **عن طرابلس**:

دفتر المهمة 69، ص 137؛ 14 ذي الحجة 999 هـ/ 3 أكتوبر 1591م.

[92] - د. عبد الجليل التميمي، "عثمنة إيالات الجزائر وتونس وطرابلس على ضوء المهمة دفتري (1559 - 1595)"، **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، السنة 17 ـ العدد 34 (أكتوبر/ تشرين الأول 2006) ص 19 ـ 189، وخاصة ص 155.

الموضوع: حول موقف الدولة العثمانية من طائفة الكراغلة (Kuloglu):
"هذا حكمنا الشريف إلى بايلرباي طرابلس الغرب محمد باشا: إنّنا ندعوك إلى االلتزام بمعاملة وإعطاء نفس الرواتب وتلبية حاجات طائفة الكراغلة، كما كان في السابق وبحسب ما كانوا يأخذونه، والعمل على حسن تدبير أمورهم، ولذا ندعوك إلى بذل قصارى جهدك لدفع رواتب هذه الفئة على أحسن وجه، وكما جرت به العادة والتدبير والمعاملة الحسنة للثقة بها"[93].

(ب) ـ نماذج من أسماء القولوغلية في مطلع العهد القرمانلي: (وفقاً لسجل محكمة طرابلس الشرعية: 1134 – 1140هـ/ 1722 – 1727م).

وقد بدا لي أخيراً أن أجرِّب العودة إلى أحد سجلات محكمة طرابلس الشرعية، إذ أنّها تُعّدُ من أهم المدوّنات التوثيقية التي ترصد العديد من سمات الحياة الاجتماعية وصلات الناس وأسمائهم وألقابهم، فكان بين يديّ سجل يعود إلى مطلع العهد القرمانلي، ويوافق هذا السجل (سياسياً) العقد الثاني من عهد الوالي المؤسِّس أحمد باشا، كما يوافق (ثقافياً) السنة التالية لعودة المؤرخ ابن غلبون من رحلته الدراسية بمصر سنة (1133هـ)، أي أنّه سابق على تأليف كتابه (**التذكار**) الذي وضع نحو سنة (1145هـ).

خرجتُ من **قراءة أولية** جديدة لهذا السجل بـ (57) اسماً من أسماء القولوغلية الذين تردد ذكرهم بين صفحاته في مختلف القضايا (أو النصوص)

---
93 - **المصدر نفسه**، ص 182.

المدوّنة في السنوات المذكورة، وأولى الملاحظات التي تنبغي الإشارة إليها ابتداءً في هذا السياق أنّ كل الأسماء تقترن بلقب (**القورغلي**) بهذه الصيغة التي يبدو عيها قدرٌ ملحوظ من التعريب اللفظي أو الشعبي في اللهجة لهذا المصطلح الدخيل، في حين آثر المؤرخ المعاصر ابن غلبون الصيغة الأخرى (**القول أوغلية**) للجماعة، و(**الكول أوغلى**) للأفراد، كما سيلي أدناه، وهي أقرب إلى الأصل العثماني. وقد آثرتُ الاكتفاء في هذه القراءة الأولية للسجل بإعداد جدول تراتبي لمجموعة الأسماء وفق تسلسل التواريخ والصفحات، دون الغوص في محتوى هذه النصوص التي تنبغي العودة إليها وإلى المزيد من السجلات الأخرى للجمع والنشر والتحليل والدراسة. ومع أنّ السجل يعود إلى محكمة طرابلس الشرعية بمركز الإيالة، فقد تعدّدت النسب الجهوية لهذه الأسماء فكان منهم: الطرابلسي، والنوفلي (من النوفليين)، والهنشيري، والعمروصي، والحشّاني، والتاجوري، والزاوي، والمسلاتي، واليزليتني، والمسراتي. ومن صفاتهم وحرفهم: الأسير بمالطه، والبابوتشي (صانع الأحذية، الإسكافي)، والنجّار، والهانبه (طائفة من الحرس)، والبراجي، والرايس، والقايد، والفقيه الإمام، والشاوش[94].

---

[94] - قبل الجدول ينبغي تقديم البيانات الوصفية التالية للسجل الذي تهرأ تجليده ولم يعد متماسكاً:

- المقاس (5. 30 X 5. 21 سم).
- الورقة الأولى (ص 1 ـ 2) مهترئة ذهب بعض أطرافها من اليمين (من أعلاها ومن أسفلها).

نماذج من أسماء القولوغلية في مطلع العهد القرمانلي
(وفقاً لسجل محكمة طرابلس الشرعية)

ر. م	الاسم	التاريخ	ص
1	**حسين بن أحمد الجزيري شهرةً العمروصي القورغلي.**	**23 شوال 1134هـ (1722م).**	**3**
2	**محمود القورغلي النوفلي[95] عُرف البكوش[96].**	**23 شوال 1134.**	**3**
3	**علي بن رجب القورغلي من سكان النوفليين.**	**14 ذي القعدة 1134.**	**15**
4	**موسى بن رمضان القورغلي الأسير بمالطه - دمّرها الله.**	**16 ذي القعدة 1134.**	**21**
5	**علي بن مصطفى عُرف بن نوري**	**8 جمادى الأخرى 1135.**	**90**

- الورقة ما قبل الأخيرة تحمل صفحتي (548 ـ 549). ويبدو أنّ بعض الورقات التي تليها غابت عنه، في حين تضم الورقة الأخيرة صفحتي (564 ـ 565).

- الصفحة الأخيرة (566) هي الوجه الداخلي الملتصق بالغلاف الجلدي الأخير.

- الخطوط مختلفة، ولكنّ كتاب المحكمة (العدول / المدوّنين) معدودون تتردد أسماؤهم غالباً في ختام النصوص.

- ترقيم الصفحات بقلم الرصاص أعلى الصفحات (بالأرقام المشرقية)، وأسفلها (بالأرقم المغربية)، وقد أشرت إلى المواضع في الجدول وفق الأرقم الأولى التي تتفق مع الأخرى في البداية، ولكن تظهر بينهما بعض الفروق في مواضع لاحقة.

95 - النوفلي: الغالب أنّ مرادهم بها النسبة إلى النوفليين، الحي المعروف بالمنشية شرقي طرابلس.

96 - البكوش: (مغربية) الأخرس، وهو لقب عائلي شائع.

	القورغلي الزاوي.		
6	خليل عُرف بوقيلة القورغلي.	22 جمادى الأخرى 1135.	95
7	ساسي بن محمد عُرف كوسه[97] القورغلي.	17 جمادى الأخرى 1135.	97
8	علي بن رضوان القورغلي الحشّاني[98].	24 جمادى الأخرى 1135.	100
9	عمر بن عثمان القورغلي البابوتشي[99].	2 رجب 1135.	100
10	علي بن محمد بن موسى القورغلي عُرف التاجوري النجّار.	19 شوال 1135.	125
11	(الشاب القورغلي قصير القامة أبيض اللون مفلّج الثنيتان العليتان (كذا) أزرق العينين القورغلي (لم يُذكر الاسم سهواً غالباً ؟).	17 ذي القعدة 1135.	132
12	مصطفى بن محمد عُرف بيوك[100] القورغلي.	25 ذي الحجة 1135.	146
13	شعبان بن إبراهيم بن أحمد القورغلي	20 محرم 1136.	155

97 – كوسه: (عثمانية فارسية الأصل، عُرِّبت إلى كوسج): الذي لا شعر على عارضيه (خدّيه)، أجرد اللحية.

98 – الحشّاني: نسبة إلى الحشّان، إحدى ضواحي طرابلس.

99 – البابوتشي: (عثمانية بالباء المثلثة: بابوججى، أو بابوشجى): صانع الأحذية، إسكافي.

100 – بيوك: (عثمانية) الكبير. ولا يزال هذا اللقب العائلي معروفاً بسوق الجمعة إلى اليوم.

	العمروصي[101].		
14	رجب بن محمد بن بيرام القورغلي المسلاتي.	منسلخ محرم الحرام 1136.	160
15	محمد بن علي الشريف القورغلي المعروف بقتال أبيه (كذا ؟!).	في ذي القعدة الحرام 1136 (1723م).	250
16	أحمد بن علي القورغلي الهانبه[102].	19 ذي القعدة 1136.	254
17	حسن آغه بن رمضان عُرف بودر[103] القورغلي الزاوي.	23 ذي القعدة 1136.	256
18	سالم بن حسين بن بودر القورغلي الزاوي.	4 ذي الحجة 1136.	261
19	رجب البراجي (كذا)[104] رايس القورغلي.	13 صفر 1137.	280
20	مصطفى بن محمد كوسه القورغلي الهنشيري[105].	أواسط ربيع الآخر 1137 (1724م).	294
21	أحمد بن علي الدرويش القورغلي.	15 ربيع الآخر 1137.	295
22	رجب بن أحمد رايس القورغلي.	27 ربيع الثاني 1137.	296
23	أحمد بشنه[106] القورغلي.	27 ربيع الثاني 1137.	297

101 – العمروصي: نسبة إلى العمروص، إحدى قرى منطقة سوق الجمعة (الساحل) العديدة.

102 – الهانبه: (عثمانية) فرد من فئة الحرس ....

103 – بودر: عثمانية: (بودور): القصير جداً.

104 – البراجي: لعلها نسبة مهنية إلى العمل في حراسة البرج، وهو أيضاً (رايس بحري).

105 – الهنشيري: نسبة إلى الهنشير، قرية ساحلية بسوق الجمعة.

24	**حسن بن أحمد المسلاتي القورغلي.**	**3 جمادى الأولى 1137 (1725م).**	**299**
25	**مصطفى بليبلو القورغلي المسراتي (كذا بالسين).**	**5 رجب 1137.**	**319**
26	**أحمد بن رجب عُرف يلوك[107] القورغلي.**	**24 رجب 1137.**	**322**
27	**محمد بن رضوان الدرويش الهنشيري القورغلي.**	**25 شعبان 1137.**	**331**
28	**حميدة[108] بن رجب بورقبة القورغلي.**	**5 شوال 1137.**	**337**
29	**أحمد بن نابي القورغلي.**	**15 شوال 1137.**	**341**
30	**علي بن رضوان القروغلي (كذا سهواً: القورغلي).**	**19 ذي القعدة 1137.**	**350**
31	**محمد القايد[109] المسراتي القورغلي.**	**5 ذي الحجة 1137[110].**	**356**
32	**المكرم الفقيه[111] الإمام سيدي محمد بن**	**5 ذي الحجة 1137.**	**356**

[106] - البشنة: اسم نبات له حبوب دقيقة تُطحن ويُستخدم دقيقها إلى عقودٍ قريبةٍ كدقيق الشعير؛ في عجين الأكلة الليبية الشهيرة (البازين)، وقد نذر استخدامها اليوم جدّاً.

[107] - يلوك: يتأرجح الحرف الأول بين الباء والياء، والحرف الأخير بين الكاف والطاء ؟ ولعلها من التركية: (يولوك) بمعنى: الأمرد. شمس الدين سامي، **قاموس تركي**. وفي التركية الجديدة: Yuluk. بحرف (u) المرقق الذي تعلوه نقطتان.

[108] - حميدة: تصغير محمد في اللهجة، وهي صيغة تحبّب وملاطفة.

[109] - القايد: لقب إداري، لمن تسند إليه إدارة جهة معينة من الإيالة.

[110] - في الأصل: "الخامس من ذي الحجة عام ستة وثلاثين وماية وألف". وهو سهو جليٌّ مخالف لهذا السياق المتعلق بسنة (1137) وفق تسلسل القضايا في السجل.

	المرحوم سيدي محمد باكير القورغلي الحشّاني.		
33	**علي بن ميلاد شاوش[112] القورغلي العمروصي.**	**10 صفر 1138.**	**376**
34	**حميدة البكوش القورغلي.**	**أواخر صفر 1138.**	**379**
35	**حسين بن خليل القورغلي اليزليتني (كذا بالياء في أوله).**	**25 ربيع الأول 1138.**	**385**
36	**أحمد بن محمد الرميلي[113] القورغلي الحشّاني.**	**أوائل ربيع الآخر 1138.**	**387**
37	**علي بن محمد بن تركية القورغلي.**	**16 ربيع الثاني 1138.**	**388**
38	**أحمد بن حسن قرينه (كذا ؟) القورغلي الزاوي.**	**14 جمادى الأخيرة 1138 (1726م).**	**405**

---

111 - تُسبق كل الأسماء في سجل المحكمة الشرعية (غالباً) بصفة (المكرم) التزاماً بأدب الخطاب، ولكنني آثرت حذفها وإثبات الأسماء مجردة، إلا في بعض الحالات الخاصة من الصفات ذات الدلالة الاجتماعية مثل (الأصطا: الأسطى)، أو مثل هذا اللقب المتميِّز (الفقيه الإمام) الذي يدلُّ على انتماء بعض رجال القولوغلية إلى هذه الطائفة الممثلة لتاريخ ليبيا الثقافي آنذاك، ولعله (الجد الأعلى لأسرة باكير) العلمية التي برز بعض رجالها في أواخرا العهد العثماني ومطلع القرن العشرين.

112 - شاوش: (عثمانية: جاوش بالجيم الفارسية المثلثة التي تحوّلت في اللهجة إلى الشين): لقب ورتبة عسكرية شاعت في بعض اللهجات العربية بصيغة (شاويش). وقد غدا في ليبيا لقباً عائلياً في جهات عديدة.

113 - الرميلي: الغالب أنّها من (الروميلى ـ وهو مصطلح مركّب من: روم ايلى) العثمانية التي تعني: القسم الأوربي من الدولة العثمانية بمعنى (بلاد الروم)، في مقابل (الأناضول): القسم الآسيوي.

39	علي بن نوري القورغلي الزاوي[114].	نفسه[115].	نفسه
40	علي بن مراد القورغلي المسلاتي.	أواخر جمادى الأخرى 1138.	410
41	محمد بن مصطفى بن جعفر القورغلي.	28 رجب 1138.	420
42	بوبكر بن السركسي القورغلي المسراتي.	24 شعبان 1138.	425
43	علي بن المرحوم الفقيه الحاج حسين بن مامي القورغلي.	25 محرم 1139.	450
44	محمد بن حسين المسراتي عُرف الفرطاس[116] القورغلي.	أواخر محرم 1139.	451
45	مصطفى بن محمد (اقشارلى[117]/ انشارلى ؟) القورغلي.	27 محرم 1139.	452
46	خليل بن غويله القورغلي الأزليتني (كذا).	17 صفر 1139.	460
47	حسن بن علي بن حسن القورغلي الهنشيري.	أواسط ربيع الأول 1139.	466
48	علي بن أحمد بن رعبه (كذا ؟) القورغلي.	13 جمادة الأخيرة 1139 (1727م).	480

114 – تقدّم أعلاه: علي بن مصطفى عُرف بن نوري القورغلي الزاوي (رقم 4) ؟

115 – هما خصمان في وثيقة واحدة.

116 – الفرطاس: (في اللهجة) الأقرع. وفي اللغة: "يُقال: أنف فرطاس: عريض". **المعجم الوسيط**.

117 – يتأرجح الحرف الثاني بين القاف والنون، ولم أدرك صواب اللقب ؟

49	إسماعيل بن إسماعيل القورغلي الطرابلسي[118].	10 رجب 1139.	493
50	خليل بن أحمد زوبي القورغلي المسراتي.	26 رجب 1139.	497
51	محمود بن الحاج رجب القورغلي.	29 رجب 1139.	498
52	حسن بن إبراهيم عُرف بليبلوا القورغلي المسراتي.	4 شعبان 1139.	498
53	الاصطا علي بن محمد عُرف السماسي البابوتشي القورغلي.	9 ذي القعدة 1139.	515
54	إبراهيم بن يوسف بن مراد القورغلي المسلاتي.	9 ذي القعدة 1139.	515
55	حسين بن بيرام القورغلي العمروصي.	15 محرم 1140.	533
56	حسن بن سالم بن مراد القوغلي (كذا سهواً: القورغلي).	20 محرم 1140.	535
57	محمد بن رجب القورغلي.	24 ربيع الأول 1140.	549

***

2 ـ المصادر الأدبية.

118 - يرد اسمه (إسماعيل بن إسماعيل القورغلي ـ دون الطرابلسي) أيضاً في موضع لاحق بالسجل (ص 544).

تتفاوت المصادر الأدبية (التاريخية المحلية) في هذه الأقطار الثلاثة أيضاً في حجم رصدها لهذه الطائفة من (أبناء الجند) التي اتسعت أجيالها اللاحقة لتغدو من أبرز الشرائح الحضرية في المدن الساحلية - على وجه الخصوص.

طرابلس

1 ـ تاريخ مملكة طرابلس الغرب (في القرن السابع عشر). (تحت الطبع).

يقتضي السياق الإشارة هنا أولاً إلى **(عمل غربي)** قيِّم من المصادر الأدبية، وقد تمّ نقله أخيراً بعد طول انتظار إلى اللغة العربية، بقلم الدكتور عبد الحكيم الأربد، وجاءت الترجمة في صياغةٍ محكمة طليةٍ، مع المزيد من الحواشي الإضافية، من أصله المخطوط الذي لم يُنشرْ بالفرنسية؛ وقد ألفه **(الطبيب الأسير جيرار البروفنصالي)** الذي ظلّ أسيراً بطرابلس خلال السنوات (1668 - 1676م)، أي في مطلع النصف الثاني من القرن السابع عشر؛ فكان بذلك مؤرخاً معاصراً لتلك الفترة المواكبة لبداية بروز (شريحة القولوغلية) في المجتمع، لذا آثرت الاستفادة من إشارته الموجزة إليهم ضمن صفحات الفصل السابع الذي جعله بعنوان **(في سكان طرابلس)**. إذ يقول في مستهل هذا الفصل: "إنّ مدينة طرابلس وسائر مدن بلاد المغرب يسكنها **ستة أصناف** مختلفة من الناس وهم: **أتراك أصليون، ونصارى مارقون، وكولوغليون، وعرب، وزنوج، ويهود**". ويخص الشريحة المعنية في هذا السياق

بالإفادة الموجزة التالية التي آثرتُ إثباتها في هذا الملخص أيضاً، لأنّها أقدمُ تعريفٍ لهذه الشريحة الاجتماعية بين المصادر التاريخية الأدبية:

"**الكولوغلية**: أي أبناء الجند، ينحدرون من أتراك حقيقيين أو من مارقين ومن أمهات من الأهالي، لذلك فمكانتهم أفضل من مكانة الأهالي، وبإمكانهم الارتقاء إلى مناصب الجيش. وعدد هؤلاء كبير بطرابلس وضواحيها، ويرتدي كثير منهم ملابس تركية، وقد تعلموا اللغة التركية، أمّا البقية فقد تطبعوا بطباع أهل البلد في كل شيء"[119].

2 ـ التذكار فيمن ملك طرابلس و[مَنْ] كان بها من الأخيار:

يُعَدُّ كتابُ التذكار لابن غلبون أقدم المصادر الأدبية (**المحلية**) التي يرد بها هذا المصطلح العثماني، في المكتبة الليبية، ضمن غيره من الألفاظ والألقاب والنسب الجهوية والمهنية في اللغة التركية / العثمانية[120]. ونقف على الإشارة الأولى الموجزة الدّالة فيه خلال عهد محمد باشا الإمام شايب العين، في السياق التالي نحو سنة (1108هـ/ 1697م) عن ملاحقة منصور بن

---

119 - جيرار البروفنصالي، **تاريخ مملكة طرابلس الغرب (في القرن السابع عشر)** نقله إلى العربية الدكتور عبد الحكيم عبد السلام الأربد، طرابلس: المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية (تحت الطبع)، ص 115 ـ 116.

120 - حول هذا الجانب اللغوي في الكتاب انظر: د. حسين عبد اللطيف، "معجم مقترح لكتاب التذكار ـ لابن غلبون"، من أبحاث **مؤتمر ابن غلبون (1981)**، ونشر في مجلة **الناشر العربي** (طرابلس) العدد الخامس (يوليو 1985) ص 133 ـ 145.

خليفة الذي كان آنذاك بأرض برقة: "وأرسل الأمير محمد باشا إلى عامله على الجبل الأخضر محمد بن محمود ليأخذه، فجمع من جنده من أهل البلدين: درنة وبنغازي ممّن وُلد بها من أهل مصراتة ويزليتن، **وبني الجند المسمّون القول أوغلية**، وأضاف إليهم أعراباً أطاعته من أهل الجبل الأخضر"[121].

ولئن كانت الإشارة الوثائقية المبكرة الأولى المقتبسة عن **(دفتر المهمة)** أعلاه تعود إلى نهاية القرن العاشر الهجري / أواخر السادس عشر الميلادي - وهي ليست البداية القطعية لظهور هذه الطائفة بطرابلس، كما يُؤخَذُ من الوثيقة نفسها - فإنّ إشارة ابن غلبون تأتي بعد أكثر من قرن في سياقها المذكور؛ وهو ما ينبغي أن نستشفّ منه أيضاً أنّ هذه الطائفة العسكرية المولّدة قد تجاوزت مركز الإيالة إلى أقصى أطرافها الشرقية، مع حداثة وصول النفوذ العثماني إلى تلك الجهات كما هو معروف من تاريخ تلك المرحلة.

ومن الجليّ أيضاً أنّ ابن غلبون يعني هذه الطائفة نفسَها في الإشارات التالية إليهم **(ببني الجند)** ونحوها، دون تلك العبارة الشارحة:

- "وكان مع أولاد محرز بعضٌ من **بني الجند** من أهل مصراتة"، نحو سنة [1108هـ][122].

---

[121] - ابن غلبون، **التذكار**، ص 224.

[122] - **المصدر نفسه**، ص 228.

- و"تشوّفَ أهلُ غريان للخلاف وخلعوا بيعته فخرج إليهم، وحشد الأعراب، **وبني الجند** الساكنين خارج المدينة في سائر المملكة"، سنة [1115هـ][123].

- "وصحبهم مفتاح بن عبد الرحمن الأصفر: رجلٌ يزعم علم الغيب، واعتقده **أولاد الترك** الذين بمصراتة"، سنة [1132هـ][124].

- "فانتدب لتخريبها طائفة من **أولاد الجند** الذين بمصراتة"، نحو [سنة 1136هـ][125].

ولعلّ أكثر إشارات التذكار دلالةً على ذلك التحوُّل السياسي الذي اضطلعت به هذه الطائفة المؤثرة في الجيش من جهةٍ، والقريبة إلى الأهالي من جهةٍ أخرى، تتمثل في هاتين العبارتين الواردتين في موضعين متقاربين من الكتاب [عن سنة 1222هـ]:

- "وكأنّ الله سبحانه أراد انقراض الدولة التركية وإقامة الدولة القول أوغلية، فأيّد محمد الجنّ وسلط الترك على بعضهم حتى قلُّوا وضَعُفَ أمرُهم"[126].

- "وزال الملكُ من أيديهم، وتولى ولاية الملك القول أوغلية"[127].

---

[123] - **المصدر نفسه**، ص 234.

[124] - **المصدر نفسه**، ص 287.

[125] - **المصدر نفسه**، ص 299.

[126] - **المصدر نفسه**، ص 238.

[127] - **المصدر نفسه**، ص 239.

كما تردُ في التذكار هذه الإشارات القليلة إلى بعض أعيان الطائفة في تلك المرحلة الجامعة بين نهاية العهد العثماني الأول / ومطلع العهد القرمانلي:

- "وقلّدها [قيادة الخيل ـ سنة 1122هـ] محمد باي الملقب ابن الجنّ **الكول أوغلي**، كان رئيس شيني[128] مشتغلاً بغزو العدو..."[129].

- "وفي السنة المذكورة [1125هـ] في أواخرها خرج على البيعة ابن حسين **الكول أوغلي** ولحق بقرية مسلاتة، وبايعه مَنْ بها من الرعايا..."[130].

- "وكان كبير الجند الذين أرسلهم لنهب القطرون وأخذها [سنة 1131هـ] إبراهيم الملقب الترياقي **الكول أوغلي**، فأصاب منها مالاً كثيراً اختصّه لنفسه..."[131].

كما تردُ في التذكار أيضاً هذه الإشارة العامة إلى جماعةٍ منهم خارجةٍ على النظام الجديد نفسه في مطلع العهد القرمانلي [سنة 1132 هـ]: "ثم خلعوا البيعة من هناك، وبايعوا إبراهيم الترياقي وعلي بن خليل الأدغم، على أنّ الأول ملكٌ والثاني وزيرُه وكاهيته، ووافقهم مَنْ شاكلهم من الجند، ومَنْ لم

---

128 - الشيني: "سفينة مسطحة تسير بالمجاديف غالباً" ... انظر المزيد من التفاصيل: هانس كندرمان، **مصطلح السفينة عند العرب**: **أطروحة حول المعنى اللغوي والعملي**، ترجمة نجم عبد الله مصطفى، أبوظبي: المجمع الثقافي، 2002، ص 155 ـ 158.

129 - ابن غلبون، **التذكار**، ص 238.

130 - **المصدر نفسه**، ص 284.

131 - **المصدر نفسه**، ص 287.

يشاكلهم لم يستطع لهم دفعاً، فوافق ظاهراً... ودخلوا مصراتة، وتمّت بها بيعة الكول أوغلية إلا مَنْ فر..."[132].

ولئن كان مجمل الإشارات السابقة إلى هذه الطائفة في التذكار تتعلّق بالتاريخ الاجتماعي / السياسي في تلك المرحلة من التحوُّلات، فإنّ هذه **الترجمة** الدّالة لأحد أعلام التاريخ الثقافي من العلماء المخضرمين - كابن غلبون نفسه بين العهدين - خير دليلٍ على ما أشرت إليه أعلاه من تجاوز دلالة المصطلح، في هذه المرحلة نفسها، لمنشئه العسكري السابق إلى هذه الحمولة الاجتماعية الثقافية الجديدة: "فممن نفر منهم [أي من علماء طرابلس المعاصرين لابن غلبون] وتفقّه: **الشيخ العالم أبو عبد الله محمد بن مصطفى الماعزي الكول أوغلي**"[133]. وسيأتي نصُّ الترجمة في القسم الثقافي من هذه المساهمة أدناه [في نشرة الكتاب الموسع].

ونلاحظ هنا أنّ المصطلح يردُ في كلِّ هذه الإشارات النصِّيّة المقتبسة بصيغتي القول أوغلية / والكول أوغلي؛ بالقاف أو الكاف / دون الراء، ويبدو أنّ هاتين الصيغتين كانتا أدنى إلى اختيار الفقيه العالم المؤرخ ابن غلبون، في حين تحوّلت الصيغة في المصدر التاريخي اللاحق (اليوميات الليبية) إلى الكوارغلية، وهي أدنى إلى اللغة المحكية (أو اللهجة الشعبية).

3 ـ اليوميات الليبية:

---

[132] - المصدر نفسه، ص 287 ـ 288.

[133] - المصدر نفسه، ص 292 ـ 293.

يغطي الجزء الأول[134] ـ باستثناء النقول ـ والجزء الثاني[135] من اليوميات الليبية العقود الأخيرة من العهد القرمانلي، منذ أواسط عهد يوسف باشا إلى نهاية العهد كله، وهي دون شكٍّ أطول النصوص التاريخية في المكتبة الليبية، وأكثرُها ثراءً فيما يتعلّق بالتاريخ الاجتماعي، على إيجاز الإشارات في صيغة اليوميات المعتادة. ومثلما رصد كتاب التذكار ظهور هذا المصطلح ودلالته الاجتماعية المغاربية في أواخر العهد العثماني الأول ومطلع العهد القرمانلي، تضطلع اليوميات الليبية أيضاً بمتابعة الرصد لهذه الدلالة نفسها (بصيغة الكوارغلية) في مركز الإيالة وبعض أطرافها إلى نهاية العهد، وسيكون للجزء الثالث من هذه اليوميات أيضاً فضلُ التنبيهِ إلى الدلالة الطرابلسية اللاحقة لهذا المصطلح، واشتقاق تلك الصيغة الطريفة الدّالة من طرف المؤرخ نفسه (**الكوارغلية من أولاد العرب**) كما سيلي أدناه.

تقدّمت في إحدى (الحواشي) من اليوميات هذه الإشارة إلى التوزيع المكاني لهذه الطائفة التي غدت مع الزمن من أبرز العناصر في النسيج الاجتماعي في الجهات التالية: "وقد ظهر هؤلاء المولّدون أو أعقابُهم في

---

134 - حسن الفقيه حسن، **اليوميات الليبية**: **الجزء الأول (958 ـ 1248 هـ/ 1551 ـ 1832م)**، تحقيق محمد الأسطى وعمار جحيدر، ط 2 طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2001، (977 ص).

135 - حسن الفقيه حسن، **اليوميات الليبية**: **الجزء الثاني ـ الحرب الأهلية ونهاية العهد القرمانلي (1248 ـ 1251 هـ/ 1832 ـ 1835م)**. تحقيق عمار جحيدر، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2001، (1212 ص).

المدن والمراكز الساحلية التي استقرّ بها آباؤهم غالباً مثل طرابلس والمنشية والساحل وتاجوراء وجنزور والزاوية الغربية ومسلاتة والخمس وزليطن ومصراتة وبنغازي ودرنة. ويبدو جليّاً أنّ الغالبية العظمى من القولوغلية قد استقرت بالقسم الغربي من ليبيا (منطقة طرابلس)، أكثر من استقرارها بالقسم الشرقي (منطقة برقة)، وهو ما نخرج به من مقارنة الجزأين المعروفين من كتاب (**سكان ليبيا**) الذي يذكر مؤلفه صراحة: وليس لهذا العنصر في برقة أهمية إلا بالنسبة لبعض الوحدات الصغيرة بين القبائل البدوية، ولكن له أهمية ظاهرة بين سكان المراكز البلدية (المدن) كبنغازي ودرنة، ولكنّهم يمثِّلون عناصر انتقلت إليهما من طرابلس وانغرست هناك"[136].

وسأكتفي هنا باقتباس بعض الإشارات النصِّيّة من اليوميات الليبية إلى هذه الطائفة في أواخر العهد القرمانلي:

- "اجتمعت المشايخ متاع البلاد وزمّموا[137] كوارغلية طرابلس بغرفة شيخ البلاد والسلام"[138].

- "قد أذن سيدنا ـ دام عزه ـ لاغة متاع المنشية والقايد: بأنّهم يزمموا كوارغلية المنشية، وكذلك أذن سيدي عمورة يزمم كوارغلية الساحل، ولن نعرفوا" ؟ [139].

[136] - **المصدر نفسه**، ج 2 ص 231 ـ 232.

[137] - زمموا: قيّدوا؛ من الزمام وهو الدفتر.

[138] - **المصدر نفسه**، ج 1 ص 480.

[139] - **المصدر نفسه**، والموضع نفسه.

– "توفى المرحوم برحمة الحي القيوم لاغه حسن آغة الكوارغلية متاع الزاوية الغربية، وذلك مرض في طرابلس، ورفعوه في كروسة إلى الزاوية"[140].

– "وأخبر بأنّه عرب تاورغة وبن وليد نزلوا على عرب مصراتة، لأجل حتى هم مع سيدنا ـ ما عدا كوارغلية مصراتة"[141].

– "وجاب جوابات من سيدي عثمان باي، وأخبر بأنّه وقعت عركة في بنغازي من القصر على الكوارغلية المنافقين، ودامت العركة يومين وطيّح حياشهم !"[142].

***

تونس

يقتضي السياق في هذا المقام الذي يسعى إلى تأصيل ذاك المصطلح العثماني، أن أشير أيضاً في هذه المرحلة من الدلالة المغاربية، إلى نماذج معاصرة مختارة من المصادر الأدبية التاريخية الراصدة للمصطلح في الإيالتين المجاورتين على التوالي؛ تأكيداً لوحدة التأثير العثماني المشترك، وتشابه الإرث المصطلحي الجلي بين الإيالات الثلاثة.

1 ـ ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان:

وثمة أثرٌ تاريخيٌّ قيِّمٌ في المكتبة التونسية معاصرٌ لهذه المرحلة أيضاً، ولقيام الأسرة الحسينية؛ وهو الذيل المذكور للمؤرخ حسين خوجة (المتوفى

140 - **المصدر نفسه**، ج 1 ص 277.

141 - **المصدر نفسه**، ج 2 ص 270.

142 - **المصدر نفسه**، ج 2 ص 588.

سنة 1145هـ/ 1732م) الذي جعله تتمّةً للأصل الذي نقله عن التركية (في التاريخ العثماني). ويستهلُّ الدكتور أحمد عبد السلام التعريف به بالإفادة التالية: "وتتعلّق جميع المعلومات التي لدينا بفترة نضجه فلا نستطيع أن نحدِّد أصله ولا تاريخ ولادته ولا مكانها ولا كيف قضّى شبابه. وإنّما نستخلص من لقبه ومن الوظائف التي تقلّدها كما نستخلص من انتسابه إلى المذهب الحنفي أنّه من أصلٍ تركي"[143].

وسواء أكان حسين خوجة من القولوغلية المولّدين، أو من مطلق العجم؛ فإنّ أثره المذكور يُعَدُّ مثلاً ظاهراً للتفاعل الثقافي بين اللغتين؛ و"الكتاب يحتوي على مقدمة وثلاثة وعشرين باباً. وقد خُصِّصَت المقدمة للكلام عن أصول آل عثمان، وخُصِّصَت بقية الأبواب للسلاطين الأوّلين وعددهم ثلاثة وعشرون. أمّا **الباب الرابع والعشرون** فهو طويلٌ جدّاً وينطوي على سدس الكتاب تقريباً، ومنه يتألف **(الذيل)** الذي كثيراً ما يرد ذكرُه ككتابٍ مستقل"[144]. وهو خاصٌ بتاريخ تونس العثمانية وتراجم العديد من رجالها في تلك الفترة.

---

[143] - د. أحمد عبد السلام، **المؤرخون التونسيون في القرون 17 و 18 و19م: رسالة في تاريخ الثقافة**. نقلها من الفرنسية إلى العربية د. أحمد عبد السلام و أ. عبد الرزاق الحليوي، تونس: بيت الحكمة، 1993، ص 219.

[144] - **المصدر نفسه**، ص 226.

وقد نُشِرَ هذا الذيل بتحقيق الأستاذ الطاهر المعموري الذي صحّح تاريخ وفاة المؤلف وأثبته على الغلاف. ومن بين التراجم العديدة في هذا الكتاب نقف على النماذج التالية من بغيتنا - على سبيل المثال:

- "ومنهم المولى [الملا] العلامة أبو الحسن علي أفندي، **أصله من الجزائر من أولاد الترك،** كان علامة، فتوجّه منها إلى اسطنبول، وجاء منها إلى تونس بوظيفة القضاء"[145].

- "ومنهم العلامة الشيخ الإمام أبو العباس سيدي أحمد الشريف الحنفي، تزايد بتونس، وهو **من أولاد الترك،** وقرأ بها القرآن العظيم، وتفقّه بها على المالكية أولاً..."[146].

- "ومنهم العلامة سيدي محمد بن مصطفى الأزهري ... وكان **أصله من طرابلس الغرب،** من بلدٍ يُقالُ لها زرزون[147]، وكان **من أبناء الترك،** ووصل إلى الديار المصرية، وأخذ عن عدّةٍ من علماء الأزهر"[148].

ومع هذه الإشارات القيّمة إلى اندماج هؤلاء العلماء في الحياة الثقافية، تستوقفنا في هذا الكتاب مسألةٌ أخرى، إذ ذكر الأستاذ المحقق الطاهر

---

145 - حسين خوجة، **ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان،** تحقيق وتقديم الطاهر المعموري، ليبيا ـ تونس: الدار العربية للكتاب، 1395هـ/ 1975، ص 169.

146 - **المصدر نفسه،** ص 170.

147 - كذا في الأصل المنشور، ومن الجلي أنّ صوابها: زنزور (بالقلب المكاني لبعض الحروف نفسها)، وهي بلدة معروفة تقع غربي طرابلس بنحو خمسة عشر كيلومتراً.

148 - **المصدر نفسه،** ص 171 ـ 172.

المعموري في مقدمته الدراسية للكتاب عند حديثه عن الحياة الاجتماعية أنّ من بين سكان الإيالة: "الأتراك، وقد أطلق على أبنائهم بعد ذلك لقب الكوروغلية"[149]، **والعلوج** الذين اختتم الحديث عنهم بالإفادة التالية: "وقد اختار قسمٌ منهم [أي العلوج] الدخول في الإسلام، وبذلك سلموا من مشاكل الأسر والاسترقاق واشتهروا بخدماتهم. وكوّنوا عائلاتٍ حافظت على الأسماء الأصلية ومن أشهرهم: مراد باي مؤسس العائلة المرادية، وحسين بن علي جد العائلة الحسينية، وزوجته أصيلة البندقية ووالدة ابنيه محمد وعلي، وغيرهم من الوزراء وولاة المناطق وقوّاد البحرية"[150].

وفي متن الكتاب نفسه عند التعريف بحسين بن علي: "قدم والده من بلاد الروم، وأصله من جزيرة كندية"[151]. ويعلِّق الأستاذ المحقق على هذه الإفادة بالحاشية التالية: "خلافاً لسامح الذي يقول: وهذا غير صحيح لأنّه كان لا يُعيّنُ في أوجاق الغرب من الانكشاريين إلا الأتراك الأقحاح، ولو كان كريتياً لدُعِيَ بحسين الكريتي. ولا يمكن تقدُّم رومي في سلك الانكشارية حتى يصل إلى منصب آغا. راجع سامح، 332، 333".

وسنرى أدناه ما يزيد هذه المسألة نقاشاً في بعض المصادر التالية. وهي مسألةٌ جديرةٌ حقّاً بمزيدٍ من التقصّي والمتابعة؛ لنقفَ على مدى انعكاسها

---

149 - **المصدر نفسه**، ص 35.

150 - **المصدر نفسه**، ص 38.

151 - **المصدر نفسه**، ص 112.

سلباً أو إيجاباً على الأوضاع الاجتماعية والسياسية لطائفة القولوغلية بتونس، قياساً إلى أوضاع إخوتهم بطرابلس في تلك الفترة من تاريخ الإيالتين التي شهدت الكثير من وجوه الشبه والتقارب.

2 ـ المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي:

وقد ظهر في تونس مؤرخ معروف من هذه الطائفة نفسها في تاريخها الثقافي، وهو محمد الصغيّر بن يوسف الباجي (ت 1184هـ/ 1771م) المعاصر لبدايات الأسرة الحسينية من جهةٍ، كما أنّ أثره التاريخي الطريف مشابهٌ إلى حدٍّ بعيدٍ في مادته ولغته (المحكية) مع الفارق الزمني، لليوميات الليبية، من جهةٍ أخرى. وقد نُقِلَ الكتاب ونُشِرَ بالفرنسية، قبل أن يصدر بالعربية[152]. وسأكتفي في هذا المقام باقتباس (النصِّ الدراسي) التالي (منه / وعنه) للمؤرخ الجليل الدكتور أحمد عبد السلام الذي عُنِيَ بدراسة المؤرخين التونسيين في العصر الحديث.

"ويخصِّص الصغير بن يوسف عدّة صفحاتٍ للحديث عن التنظيم العسكري للدولة التونسية ومقارنته بتنظيم الوجق بالجزائر. وهو يعزو تفوقه إلى تواجد الداي باستمرار بين العساكر الأتراك، إذ كان يعيش معهم ويحارب إلى جانبهم ويستشيرهم يومياً دون سواهم من الفيالق الأخرى، بخلاف باي تونس الذي كان يسيء بهم الظنّ ويحتقرهم. ومعلومٌ أنّ هؤلاء كانوا - في

---

[152] ـ الشيخ الصغير بن يوسف، **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي**، تقديم وتحقيق د. أحمد الطويلي، تونس (د. ن) 1998.

تونس - إمّا أتراكاً "أصيلين" قدموا إلى البلاد منذ عهدٍ قريبٍ أو كاورغليين [كذا]. فلا غرو أن يشعروا بأنّ الأمير يُهملُهم سواءً في المعسكر أو في ساحة القتال، لا يستشيرهم أبداً ولا يرافقهم في المعارك، بل يرقبهم من بعيدٍ محاطاً "بأصحابه وعملائه وأتباعه الدريديين وفرسانه العرب". وما إن تدور عليهم الدوائر حتى يستحثّ جواده ويفرّ متخلياً عنهم. ويستنكر المؤلف مرّاتٍ عديدةً هذا السلوك من طرف البايات ويعبِّر - من جهةٍ أخرى - وبكلِّ وضوح عن شعور الكاورغليين آنذاك بالقلق والضيق. والحقُّ أنّهم فقدوا ما كانوا يتمتّعُون به من قبل من مكانةٍ رفيعةٍ بفقدهم بسالة أجدادهم في الحروب وعدم استفادتهم من تصاعد نفوذ البايات الذين اضطروا إلى الاعتماد على "عرب" العروش اعتماداً كبيراً.

وكان هؤلاء الكاورغليون - أحفاد الأتراك المقيمين في البلاد منذ أكثر من جيلٍ - حريصين قبل كلِّ شيء على استثمار ما جمعوا من أموال، بعد أن فقدوا الكثير من حميّتهم الحربية ولم تعد تحدوهم روح العصبية التي جعلت من الحامية التركية فيلقاً شديد البأس مهيباً. ومن قديم انتسابهم إلى هذه الحامية لم تبقَ إلا أسماءُ مقيّدة في السجلات ورواتب ما زالت مرموقةً، وإمكانية القيام بضغوطٍ لفائدة مصالحهم الشخصية بحكم انتمائهم إلى تلك الفئة الاجتماعية. ولمّا قطع علي باشا رواتبهم عنهم وأطلق أيدي أصحاب السلطة المحلية عليهم ضعف شأنُهم وانكشفت دفعةً واحدةً الضغائن

والأحقاد التي تراكمت ضدّهم. ولقد ردّد الصغير بن يوسف - وكان واحداً منهم - صدى خيبة آمالهم وتشكّياتهم"[153].

ولا شكّ أنّ هذا النصّ الدراسي الثري الرصين خيرُ ما يُسْتَدَلُّ به على تعدُّد عطائه وجلاء أضوائه في هذا المقام. إذ عبّر دفعةً واحدةً أيضاً عن معطياتٍ عديدةٍ مفيدة:

- عن اندماج طائفة القولوغلية في النسيج الاجتماعي وتجاوزها لظرفية النشأة العسكرية الضيّقة المحدودة.

- وغنى هذا النصِّ التاريخي - على تواضع صياغته - لأحد أبناء الطائفة نفسها، وما يعنيه ذلك في التاريخ الثقافي.

- وفوق ذلك أيضاً هذا الاختلاف الجلي لأوضاع القولوغلية بتونس عن حظِّ إخوانهم ومجايليهم بطرابلس الذين كانوا في هذه المرحلة - كما تقدّم أعلاه - يرفلون في أوج نعيمهم، وقد اشرأبت أعناقهم إلى ذروة الكيان السياسي في الإيالة.

3 ـ الحوليات التونسية:

للمؤرخ الفرنسي / القنصل / المستشرق البارون ألفونص روسو (1820 - 1870)[154]. وهو معاصرٌ كما ترى للعهد الحسيني، وابنٌ للقنصل الفرنسي

---

[153] - د. أحمد عبد السلام، **المؤرخون التونسيون**، ص 281 ـ 282.

[154] - البارون ألفونص روسو، **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى الاحتلال الفرنسي للجزائر**، نقلها عن الفرنسية نقحها وحققها وضبطها بأمهات المصادر التونسية وقدّمَ لها بدراسة نقدية الدكتور محمد عبد الكريم الوافي، بنغازي: جامعة قاريونس، 1992، 381 ص.

بطرابلس في أواخر العهد القرمانلي. ويشير روسو الابن إلى الأصل الرومي (العلجي) لهذه الأسرة في ختام باب (الدايات) بقوله: "وبعقد البيعة لحسين بن علي استُهلّ في تونس عهدُ حكم **سلالةٍ علجيةٍ جديدة**، ما تزال مقاليد هذه الإيالة بين يدي نسلها حتى يوم الناس هذا"[155]. كما يستهلُّ التعريف به بقوله: "هو ابنٌ لعلجٍ يوناني كان قد انخرط في مفرزةٍ تمّ تجنيد أفرادها من مرتزقةٍ جيء بهم من المشرق لدعم صفوف عسكر تونس التركي"[156].

وسأكتفي بعد هذه الإشارة المدخلية عن بداية الأسرة الحسينية وانتمائها العرقي كما يراه هذا المؤرخ[157]، باقتباس النصِّ التالي عن حمودة باشا في مطلع القرن التاسع عشر، وهو نصٌّ يؤكِّد ضمنياً أنّ طائفة القولوغلية في تونس لم تكن في الصدارة، كإخوانهم بإيالة طرابلس خلال هذا العهد: "ولذا فإنّ الموقف فرض على حمودة باشا التزام الحذر الذي أملته عليه فطنتُه ووعيُه بالأخطار القائمة. فبادر، بادئ ذي بدءٍ، إلى الكفِّ عن تجنيد مرتزقة الترك، وأوقف عمليات استجلابهم من المشرق، كما حرص بعد ذلك على إبعاد

---

[155] - **المصدر نفسه**، ص 157.

[156] - **المصدر نفسه**، ص 161.

[157] - مع هذا التصريح بانتماء الأسرة الحسينية إلى أصلها (**العلجي**)، استوقفتني في (صفوة الاعتبار) حاشية التحقيق التي تردُّ مؤسسها حسين بن على إلى: "نسبه الكورغلي أي أنّه سليل أبٍ تركي وأمٍّ تونسية". محمد بيرم الخامس، **القطر التونسي في صفوة الأمصار بمستودع الأمصار والأقطار**، تحقيق الدكتور علي الشنوفي، وعبد الحفيظ منصور، ورياض المرزوقي، تونس: بيت الحكمة، 1989، ص 71.

أصحاب المناصب الرئيسية من الأتراك عن ممارسة الشؤون السياسية، شيئاً فشيئاً، وقلّل بالتدريج من نفوذهم وحظوتهم. ولتحقيق هدفه في زعزعة النفوذ الذي كان يتمتّع به المرتزقة الأتراك، نراه يشرع في تشكيل قوّةٍ عسكريةٍ جديدةٍ انتقى عناصرها من بين فئة الكولؤوغلية [كذا] - أي من أولئك المولّدين من آباء أتراكٍ وأمّهاتٍ تونسيات - لأنّهم، بحكم أصلهم ومنشئهم، يعتبرون أكثر ولاء وأشدّ تشبُّثاً بتونس من الأتراك الأقحاح"[158].

وخلاصة القول من خلال مجمل المعطيات في هذا السياق الدراسي المقارن، إنّ العهد الحسيني لم يكن (ربيع القولوغلية) بتونس[159]. وينبغي

[158] - روسو، **الحوليات التونسية**، ص 290.

[159] - ختاماً لهذه المصادر التونسية تنبغي الإشارة أيضاً إلى الإفادة التالية التي وردت ضمن دراسة عن (**عناصر الشعب التونسي وامتزاجها**) للعلامة حسن حسني عبد الوهاب، وهو في طليعة الدارسين المعاصرين بتونس الشقيقة: "ونتيجة لاحتلال الأتراك دخل إلى تونس الجنس الأوربي والآسيوي. وقد وقع نفس الشيء بالنسبة للدول المغربية الأخرى. فالجيش التركي (الإنكشارية) المكلف بحماية شمال أفريقيا كان يجمع أجناساً متنوعة من مختلف جهات الإمبراطورية العثمانية. وكثيراً ما ينتهي الأمر بأولئك الجنود إلى التزوُّج بتونسيات، وبذلك تعلقوا بالبلاد وأصبحت تربطهم بها صلاتٌ عائلية متينة وألفوا الحياة فيها. وكان يُطلق على أبناء هؤلاء الجنود اسم (قولغلي)، وقد اندمجوا مع السكان الأصليين في المدن بعد أن أخذوا شيئاً من عاداتهم. وقد تسهل علينا معرفتهم إذ أنّهم كلهم على مذهب أبي حنيفة النعمان. وهذه قاعدة عامة تمكِّننا من معرفتهم خاصة أنّه لم يحاول أيٌّ واحدٍ منهم الخروج عن هذا المذهب. أمّا المسلمون الذين هاجروا قبلهم إلى تونس فإنّهم يتبعون المذهب المالكي.

التنبيه أخيراً إلى أنّ هذه الدلالة المغاربية لمصطلح القولوغلية بتونس قد ظلّت سائدة بالمعنى العرقي السابق نفسه إلى نهاية العهد الحسيني في أواسط القرن العشرين، ثم في الوجدان الاجتماعي والذاكرة الشعبية إلى اليوم؛ خلافاً لذلك التطور الدلالي الوظيفي اللاحق الذي استقلّت به جارتها طرابلس في العهد العثماني الثاني، كما سيلي بيانه أدناه.

***

الجزائر

1 ـ مذكرات أحمد الشريف الزهار:

تُعَدُّ مذكرات أحمد الشريف الزهّار (1196 - 1289هـ/ 1781 - 1872م) نقيب أشراف الجزائر من أبرز الآثار التاريخية عن العهد العثماني؛ وهي ترصد الفترة التالية: (1168 - 1246هـ/ 1754 - 1830م)[160]. ويشير الأستاذ

وقد استقرّ هؤلاء الوافدون ـ غالباً ـ في المدن الواقعة على ساحل البحر كالمهدية والمنستير وبنزرت وغار الملح. وقد أعيد بناءُ هذه المدن وتعميرها من (القولغلية) الذين استوطنوها وكوّنوا أغلبية سكانها بمرور الزمن، ويبدو هذا بصفةٍ أوضح في المهدية".

انظر: حسن حسني عبد الوهاب، **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، القسم الثالث، جمع وإشراف محمد العروسي المطوي، تونس: مكتبة المنار، 1972، ص 271 ـ 272.

ونقف من خلال هذا النصِّ الدراسي المعاصر ـ كما ترى ـ على: تنوُّع النسيج الاجتماعي لأصول القولوغلية، واتباع المذهب الحنفي، وتركز وجودهم بالمدن الساحلية. ويبدو جلياً أنّها سماتٌ عامة في الإيالات الثلاثة، تؤكِّدُ وحدة النشأة وتشابه ظروفها.

[160] - حققها ونشرها المؤرخ الجليل الأستاذ أحمد توفيق المدني ـ رحمه الله تعالى ـ ط 2 الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، 196 ص.

أحمد توفيق المدني في مقدمته الموجزة إلى أنّ هذا الجزء المنشور الواصل إلينا يمثِّل ثلث الأثر تقريباً، إذ فقد الجزء الأول منها، في حين استأثر أحد المسؤولين الفرنسيين بالجزء الثالث. و"تتميّز تقاييد أو مذكرات أحمد الشريف الزهار بأنّها سجلٌ حيٌّ واقعيٌّ للأحداث التي عرفتها الجزائر منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر وحتى السنوات الأولى للاحتلال، فهي أشبهُ شيءٍ يوميات حسن الفقيه الطرابلسي (1781 - 1868) التي قيّد فيها الوقائع التي عاشها بطرابلس الغرب" كما يلاحظ المؤرخ الجزائري الدكتور ناصر الدين سعيدوني نفسُه[161].

ونظراً "لخلو هذا الكتاب القيّم من الفهارس الشاملة التي أضحت ضرورة للكشف عن معطيات كلِّ نصٍ، اضطررتُ إلى قراءته كاملاً، من أجل الوقوف على ما به من إشاراتٍ إلى القولوغلية ... وقد كانت القراءة الشاملة ممتعة مفيدة على أيّة حال؛ إذ تبيّنتُ من خلالها طبيعة هذه الفترة، وخاصّة في تاريخها السياسي من جهةٍ، وأنّ شريحة القولوغلية - من جهةٍ أخرى - كانت من خلال النصِّ غائبةً حقّاً عن هذا الحراك السياسي، ومهمّشةً فيما يبدو من معطيات النصِّ، خلافاً لنظرائهم في ... طرابلس الذين أُتيحَ لهم أن يتسنّموا مركز الصدارة خلال هذه الفترة"[162].

---

[161] - الدكتور ناصر الدين سعيدوني، من **التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**: "**تراجم ومؤرخين ورحّالة وجغرافيين**"، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1999، ص 517.

[162] - قيدٌ ذاتيٌّ دوّنتُه بآخر الكتاب عند الفراغ من قراءته، مساء السبت (25 ـ 7 ـ 2009).

وقد ذكر القولوغلية في مواضع محدودة، نستفيد من أولها هذه الصيغة الطريفة للمصطلح التي آثرها المؤرخ وهي: "والكلغلار يقاتلون من المشور مع الأتراك"[163]، "وجعل أعواناً من الترك والكلغلار أربعون رجلاً سمّاهم القوبجية"[164]. ويبدو جليّاً أنّها مستمدّةٌ من صيغة الجمع في التركية العثمانية (قول اوغللرى)، ولعلها كانت الصيغة السائدة آنذاك هناك في اللغة المحكية أو اللهجة الجزائرية.

كما أشار إليهم في مواضع أخرى بنسبةٍ جهويةٍ إلى مقر سكناهم [وادي الزيتون]: "فأمره الأمير بقتل عسكر الزواتنة على ما قيل"[165]، "ونادى مناديه في البلدان: من أتاه برأس تركي أو زيتوني من رجال المحلة، فله كذا وكذا" ، "وأسقط من ديوان العسكر ما كان معهم من الزواتنة"[166].

كما يقدِّم المؤرخ هذه الإفادة الدّالة عن التهميش السياسي لطائفة القولوغية، تعليقاً على تعيين أحمد باي قسنطينة وهو منهم: "أمّا السبب في تولية الكوراغلي باياً على قسنطينة، بعدما كان البايات الذين تقدّموا عليه

---

[163] - **مذكرات ... الزهار**، ص 84. وقد ذيّلها المحقق بالحاشية التالية: "الكلغلار أو الكورأوغلية، أتراكٌ من أب تركي وأم عربية، والمشور هو القصر المحصّنُ الكبير بتلمسان، وكان مقر ملوك بني زيان". ص 94.

[164] - **المصدر نفسه**، ص 99.

[165] - **المصدر نفسه**، ص 111. وعلّق علها المحقق بالحاشية التالية: "عسكر الزواتنة هم الكولوغلية الذين أسكنوهم وادي الزيتون، وكانوا من أب تركي وأم جزائرية" ص 114.

[166] - **المصدر نفسه**، 137.

كلهم أتراك، فذلك لأنّه بعد مقتل جافر باي قسنطينة، وحمل كل أمواله وخزائنه إلى الجزائر لم يجمع هنالك مال، وكل من تولى باياً يجمع مالاً ويخفيه لعواقبه ولذريته، وإذا قرب وقت الدنوش[167] يأخذون أموال الناس ظلماً بالمصادرة والنهب والغزو على أموال العرب، وتوالت تسمية البايات وعزلهم والوطن لا يزداد إلا نقصاً وضعفاً. وهكذا اضطروا في هذه السنة اضطراراً كبيراً، لتولية الكوراغلي أحمد باي على قسنطينة، ولم يول كوراغلي آخر باياً منذ ثورة محمد باي وهران الكوراغلي على الجزائر ومقتله"[168].

ويستوقفنا في الختام تأكيد المؤرخ على **(النسبة التركية لحكومة الجزائر)** حتى نهاية العهد العثماني: "لملوك الأتراك بالجزائر"[169]، "وبقي كذلك إلى أن انقضت دولة الترك"[170]، "وحسن باشا هذا، وهو آخر ملوك الترك بالجزائر"[171]. وهي إفادةٌ صريحة الدلالة على استقرار مقاليد الأمور في إيالة الجزائر بأيدي

---

167 - **الدنوش**: مصطلحٌ عثماني شائع في الجزائر، وتعني لغوياً (العودة)؛ أي عودة [أو زيارة] بايات الأطراف إلى العاصمة كل ثلاث سنوات للمراجعة والمحاسبة المالية والسياسية ...الخ. انظر د. خليفة حماش، "أهمية المصطلحات التركية في دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية"، **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية** (تونس)، العدد الخامس عشر والسادس عشر (أكتوبر ـ نوفمبر 1997) ص 141 ـ 167، وخاصة ص 153 ـ 155.

168 - **مذكرات الزهار**، ص 160.

169 - **المصدر نفسه**، ص 96.

170 - **المصدر نفسه**، ص 151.

171 - **المصدر نفسه**، ص 176.

(الآباء الانكشارية) الذين استمرّ قدوم متطوعيهم - كما ترد الإشارات الوثائقية العديدة لذلك - إلى السنوات الأخيرة من العهد العثماني[172].

2 ـ المرآة:

مع الغزو الفرنسي للجزائر برزت شخصيتان من طائفة القولوغلية هناك، أحدهما في الجهاد المسلح وهو أحمد باي قسنطينة المذكور أعلاه[173]، والآخر في النضال السياسي وهو حمدان بن عثمان خوجة (1189 - 1255هـ / 1775 - 1840م) صاحب كتاب (**المرآة: لمحة تاريخية وإحصائية على إيالة الجزائر**) الذي وضعه بالعربية، ثمّ استعان برفيقه في الغربة وتربه

172 - انظر في هذا الخصوص العمل التوثيقي القيّم التالي: خليفة حماش، "كشّاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين في الجزائر وتونس"، **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، العدد الثالث عشر والرابع عشر (أكتوبر 1996) ص 286 ـ 448.

تعدّدت في هذا الكشاف الوثائق المتعلقة بإرسال المتطوعين إلى الجزائر حتى السنوات الأخيرة من العهد العثماني، بل وصل الأمر إلى تجنيد بعض جنود الانكشارية المسرّحين أنفسهم بعد القضاء عليهم في المركز هناك (ص 357). وليس بين القضاء على الإنكشارية (1241هـ/ 1826م)، ونهاية العهد العثماني في الجزائر (1246هـ/ 1830م) سوى بضع سنوات.

173 ـ لمزيد من التفاصيل عنه انظر: الدكتور أرجمند كوران، **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر (1827 - 1847) يلي ذلك دراسة عن الحاج أحمد باي قسنطينة**، نقله عن التركية الدكتور عبد الجليل التميمي، طبعة ثانية منقحة ومزيدة، تونس 1974. 94 ص. وخاصة ص 80.

القريب من أبناء جيله - كما ترى - المثقف السياسي حسونة الدغيس الطرابلسي (1191 - 1252هـ/ 1778 - 1836م) الذي نقله إلى الفرنسية، وصدر الكتاب في باريس سنة 1833 (1249هـ). وقد فُقِدَ الأصل العربي، ثمّ نُقِلَ الكتاب أخيراً إلى العربية[174].

وتنبغي هنا الإشارة أولاً إلى هذا التعاون والجهد السياسي المشترك بين هذين العلمين البارزين من طائفة القولوغلية في الإيالات المغربية، اللذين جمعت بينهما الأقدار على نحوٍ جليّ في التجربة والمصير، إذ كان كلاهما غريباً في باريس في تلك الفترة نفسها، ثم جمعت بينهما الأقدار كذلك في التحوُّل إلى استانبول ومواصلة النشاط الثقافي بها، إلى أن توفي كلاهما هناك أيضاً. ولعله من الطريف حقّاً أن يجمع الدكتور عبد الجليل التميمي عنايته الجادّة بهما في بحثين مستقلين من أبحاث أطروحته القيِّمة[175].

---

[174] - حمدان بن عثمان خوجة الجزائري، **المرآة**: (**لمحة تاريخية وإحصائية على إيالة الجزائر**)، عرّبه وعلّق عليه وفهرسه الدكتور محمد بن عبد الكريم، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1972، 399 ص.

وقد عني المترجم به أيضاً في كتاب آخر مستقل: د. محمد بن عبد الكريم، **حمدان بن عثمان خوجه الجزائري ومذكراته**، بيروت: درا الثقافة، 1972، 255 ص.

[175] - الدكتور عبد الجليل التميمي، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1816 - 1871)**: "حول كتاب المرآة لحمدان خوجة" ص 133 - 194، و"حسونة الدغيس الطرابلسي وقضية الماجور لاين" ص 261 - 324.

ويرى الدكتور التميمي أنّ "حمدان بن عثمان خوجة يُعَدُّ الشخصية الجزائرية الوحيدة التي تمتّعت بثقافةٍ واطلاعٍ واسعين جدّاً، والذي ترك عدداً من الوثائق السياسية الهامة حول أحداث الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي للبلاد" ... و"أنّ كتابات حمدان خوجة تُعَدُّ الاستثناء الوحيد، ذلك أنّ حمدان كان يجيد العربية والتركية كتابة، كما يتكلم الفرنسية والانجليزية بطلاقة، ولكنّه لا يكتبهما، وهو يُعَدُّ عالماً في جزائر العاصمة"[176].

ولذلك فإنّ هذا الكتاب بمحتواه ومؤلفه يُعَدُّ وثيقةً قيّمةً بالغة الدلالة على هذا الجانب السياسي / الثقافي لطائفة القولوغلية في الجزائر، كما كان حمدان خوجة فوق ذلك أيضاً من أبرز أثرياء البلاد وملاكها عند الاحتلال[177]. ولا أريد الاستطراد إلى مزيدٍ من التفاصيل حول النشاط السياسي لحمدان خوجة وموقفه من الاحتلال، في هذا السياق المكرّس لإيضاح الدلالة المغربية لمصطلح القولوغلية، والإشارة المعنية ضمنياً إلى قدرٍ من المعطيات المقارنة لأوضاع الطائفة في الإيالات الثلاثة.

---

176 - الدكتور التميمي، **نفس المصدر**، ص 133 - 134.

177 - يعلق الدكتور التميمي على ما ذكره بمتن كتابه من ثروته بالحاشية التالية: "إنّه من الصعب جدّاً تقدير ثروة حمدان خوجة، إلا أنّ الإدارة الفرنسية كانت تعدُّها بحوالي أربعين مليون فرنك، من رسالة حمدان خوجة إلى بوضربة الموجهة إليه بتاريخ 26 ماي 1836 الخ. وفي وثيقةٍ أخرى وهي رسالة لقنصل إنجلترا بالجزائر، إبريل 1831: يُعَدُّ حمدان بن عثمان خوجة هنا أهمّ تاجر بالبلاد". ص 134.

ومن حسن الحظ أنّ حمدان خوجة (القولوغلي) نفسَه قد جمع في موضعٍ واحدٍ من كتابه / الوثيقة كلّ ما نطمح إلى تقميشه من مواضعَ متفرِّقةٍ في مثل هذا السياق. وسنرى من خلال هذا النصِّ الجامع المقتبس أدناه، خلاصةً تاريخيةً، ذاتيةً وافيةً، مصوِّرةً لأوضاع هذه الطائفة هناك؛ إذ يقول:

"لقد ارتكب الأتراكُ غلطة كبيرة؛ عندما تركوا السلطة المطلقة في أيدي الباشاوات، فالديوان الذي شُكِّلَ من أجل أعمال مراقبة الباشاوات ومساعدة الحكومة وتزويدها بنصائحه، قد أصبح ضعيفاً عديم النفوذ؛ بل يُنظَرُ إليه كأنّه غير موجود، وأصبحت آراء نبلاء البلاد منسية لا يُؤبَهُ لها، كما أصبحت المناصب الحسّاسة للدولة - مثل مناصب الوزراء "وخوجة الخيل" الخ...ـ لا يشغلها سوى الأتراك، لأنّ الكراغلة الذين رغم أنّهم من ذرية هؤلاء الأتراك، قد أُبعدوا عن السلطة وطُردوا من الوظائف الحكومية.

وبمناسبة ذكر الكراغلة سأقصُّ حادثةً تاريخية قد كانت سبباً في إبعادهم عن السلطة: في سنة 1630م تقريباً خطر ببال طائفة الكراغلة أن يستولوا على الحكم ويطردوا آباءهم الأتراك الذين قد كانوا رؤساء في الحكومة، فاجتمعوا من أجل هذا الغرض ببرج مولاي حسن، وكان الأتراكُ على علمٍ بدسيسة الكراغلة، إلا أنّهم تظاهروا بالغفلة، لإفساد خطتهم وإحباط مؤامرتهم، فاتفقوا مع عددٍ من عمال بني ميزاب على أن يُلبسوهم لباس الإناث ويُسلِّحوهم ثم يُرسلوهم إلى مكان اجتماع الكراغلة ليحبطوا تلك المؤامرة ويبدِّدوا شمل المتآمرين. وقد كان الأمر كذلك .....

وبذلك باءت مؤامرة الكراغلة بالفشل وأصبحوا خاضعين للأتراك. وبعد هذه الحادثة لم يستطع الأتراك أن ينفوا أبناءهم الكراغلة من البلاد؛ بَيْدَ أنّهم لا يسمحون لهم - أبداً - بأن يشغلوا مناصب سامية، كما أنّ جميع مَنْ كان يشغل منصباً منهم قبل هذه الحادثة عزلوه عنه منذ ذلك الحين. وعندما يصل واحدٌ منهم إلى الرتبة السابعة في الجيش يعزلونه، لئلا يترقى إلى رتبةٍ فوقها. وبهذه الطريقة لا يمكن لأيِّ كرغلي أن يشغل منصباً في الديوان أو يكون عضواً في حاشية الداي، فترجمان الدولة أو كاتبها باللغات الأجنبية، وكتّاب الدولة ومراقب أوقاف مكة والمدينة، كلُّ واحدٍ من هؤلاء يجب أن يكون عربياً وليس كرغلياً. وقد دام حقد الأتراك على أبنائهم الحقيقيين (الكراغلة) حوالي قرنين. وهؤلاء الكراغلة كثيرون ومنتشرون في جميع أنحاء الإيالة، لا سيما في المكان المسمى (بوادي الزيتون) تحت جبل (فليسة) والذين في هذا المكان - فقط - يمكن أن يقدّروا بثمانين ألفاً أو مائة ألف مقاتل.

ورغم أنّهم مبعدون عن وظائفهم فإنّ أغلبهم يتقاضون مرتباتهم، خوفاً من حقدهم وتفادياً لغيظهم. ثم أنّ الكراغلة أرادوا أن يدخلوا تحت رعاية أسلافهم وينالوا عفوهم، فراحوا يأتون بالرجال ويقيدونهم في سجل الانكشارية على نفقتهم، كما أنّهم قد دفعوا بأبنائهم ليقيّدوا أنفسهم كمتطوعين في الجيش الانكشاري أيضاً. ولما أصبح الكراغلة الذين يتقاضون مرتباتهم من الدولة موزّعين في جميع أنحاء الإيالة، تعذّر عليهم

الحضور كلّ شهر بمدينة الجزائر، ليقبضوا تلك المرتبات حسبما جرى به النظام والعادة. وهذا هو السبب في جعل اليهود يوطِّدون أنفسهم ويصبحون مموِّلين لهؤلاء الكراغلة ...الخ"[178].

وفوق هذا النصِّ التاريخي الذاتي القيِّم، يضمُّ الكتاب في ملحقه الوثائقي هذه الوثيقة الدّالة في سياق تلك المرحلة من الغزو الفرنسي للجزائر؛ وهي بعنوان: (**نداءٌ موجّهٌ من طرف الجيش الفرنسي إلى الكراغلة: أولاد الأتراك العرب [كذا] القاطنين بإيالة الجزائر**). وهي وثيقةٌ تذكِّرُنا بخبث الاستعمار الفرنسي وسعيه منذ البداية إلى زرِع بذور الفرقة بين أبناء الجزائر، وسأكتفي بأولها المفصح عن فحواها الاستعماري الصفيق:

"نحن - الفرنسيين - أصدقاؤكم، سنذهب إلى مدينة الجزائر، لنطرد منها الأتراك الذين قد طغوا عليكم واضطهدوكم واغتصبوا جميع ممتلكاتكم ومنتوجات أراضيكم، أولئك الذين لم ينفكوا عن تهديد حياتكم. نحن لا نغزو المدينة لنقيم بها ونسكن فيها كأسياد أو رؤساء. أنّنا نقسم لكم بدمنا أن لا يكون ذلك ! انضموا إلينا، وكونوا جديرين بحمايتنا، كي تسودوا في وطنكم مثلما سدتم فيه سابقاً، وتصبحوا رؤساء أحراراً في مسقط رأسكم. إنّ الفرنسيين سيعاملونكم مثلما عاملوا به - منذ ثلاثين سنة - إخوانكم

178 - حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، ص 125 ـ 127. وقد اضطررت إلى بتر بعض الفقرات من هذا النصِّ القيِّم توخياً لعدم الإطالة قدر الإمكان.

المصريين المحبوبين الذين لم ينقطع أسفهم علينا منذ مغادرتنا لوطنهم [كذا !!] ...الخ"[179].

3 ـ مرآت الجزائر:

وضعه بالعربية أيضاً ابن حمدان خوجة نفسه، وهو علي رضا باشا الذي يُعَدُّ - دون شك - من أبرز ولاة طرابلس في العهد العثماني الثاني، وأكثرهم كفاءة، وأوسعهم ثقافة وأفقاً. وهو الوالي الوحيد من طائفة القولوغلية في هذا العهد. وقد وُلد بالجزائر سنة 1236هـ(1820 - 1821م)، ورحل مع والده إلى باريس بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، فأُلحِقَ هناك بمدرسة المدفعية، بواسطة رشيد باشا السفير العثماني في باريس. وتدرّج بعد تخرُّجِه في سلك العسكرية العثمانية حتى رُقي إلى أعلى رتبةٍ فيها (مشير). وشغل عدّة وظائف عسكرية وإدارية، وعُيِّن والياً على طرابلس مرّتين، وكان مثقفاً مستنيراً جامعاً بين العربية والتركية والفرنسية.

ويُؤخَذ من إحدى الإشارات في كتابه أنّه ألّفه نحو سنة 1286هـ(1870م)، أي خلال ولايته الأولى على طرابلس. وقد فُقِدَ الأصلُ العربي للكتاب[180]، ولم تبقَ منه سوى الترجمة التركية التي أنجزها صهرُه علي شوقي وصدرت بإستانبول سنة 1293هـ(1876م) في 142 صفحة. وقد توفي المؤلف في السنة نفسها، ودُفن بتربة أيوب الأنصاري هناك. وقد ضمّن كتابه بعض

179 - **المصدر نفسه**، ص 359 ـ 360.

180 - كما فُقد سابقاً الأصلُ العربي لكتاب أبيه (المرآة)، ولم تبقَ منه سوى الترجمة الفرنسية.

الإشارات المفيدة عن جدِّه وعمِّه وأبيه، كما أُلحقت ترجمة المؤلف بآخر الكتاب بعد وفاته[181].

ويذكر علي رضا باشا أنّ (أهل البلد) أي سكان مدينة الجزائر ينقسمون إلى أربعة فرق: وهم الأندلسيون المستوطنون هناك، والعربان المتمدنون أي الحضر، وأولاد الأتراك المعبّر عنهم بالقولوغلية، والأتراك. وقد كان عموم القولوغلية مستخدمين في شؤون سلاح المدفعية التي كانت بأيديهم، وتُخصّصُ لهم (التعييناتُ) اليومية من الخبز. وكانت أسماؤهم مقيّدةً بدفتر مخصوص. وكانوا يؤدُّون خدماتهم ذاهبين إلى القلعة بالتناوب بمعاش جزئي، كما كانوا يذهبون أحياناً مع الأتراك لجمع الضرائب. ولئن كان القولوغلية يُرقون في هذه المناصب، فإنّ ذلك كان محدوداً بسقفٍ معيّن، إذ سرعان ما يُحالون إلى التقاعد، ولم يبلغ قولوغلي قط رتبة (بيكباشى / بينباشى) التي تعادل في العربية رتبة (مقدّم).

ولئن كان هؤلاء (القولوغلية) من أبناء الأتراك أصلاً، فإنّ الآباء كانوا يخشون أبناءهم، لأنّهم أفضل منهم عقلية وتربية. وأكثر القولوغلية ذوو علم

---

181 - أعددتُ في مناسبةٍ بحثيةٍ سابقةٍ خلاصة أوفى لهذه الترجمة؛ استناداً إلى إفاداته الذاتية في كتابه المذكور، وبعض الوثائق العثمانية بأرشيف رئاسة الوزراء في إستانبول، وبعض الإشارات الواردة عنه في **(تاريخ أحمد لطفي أفندي)**، وهو المؤرخ الرسمي آنذاك (وقعهء نويس) للدولة العثمانية. انظر تقديم كتاب: **مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية بمدينة طرابلس في مائة عام (1898 – 1998م)**، تأليف عدد من الأساتذة، تحرير عمار جحيدر، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ـ والإدارة العامة لمدارس الفنون والصنائع الإسلامية، 2000، ص 14.

ومعرفة، مجتهدون في تحصيل النحو، وحفظةٌ للقرآن الكريم يحسنون تلاوته وفق الأصول العربية؛ ولذلك فإنّهم يتفوّقون على الأتراك بكلِّ الوجوه. أمّا الأتراكُ فهم طاقمٌ (جماعة) من الجهلة تركوا بلادهم وقدموا إلى الجزائر، وقد نشأت تلك البرودة (أو النفور) بينهم وبين أبنائهم من هذا السبب[182].

وخلاصة ما أودُّ الخروجِ به من هذا النصِّ الجزائري المنجز بعد نهاية العهد العثماني / وبداية الغزو الفرنسي بعدّة عقود - كما ترى - تتمثل في استمرار تلك الدلالة المغاربية (العرقية) لمصطلح القولوغلية في ذاكرة الجزائر، خلافاً لطرابلس التي كان هذا المصطلح فيها يشهد تحولاً مغايراً في دلالته، خلال تلك السنوات نفسها التي "أُلِّفَ / وتُرجِمَ / ونُشِرَ فيها الكتاب (1286 - 1293هـ)، كما سيلي بيانه وتوثيقه أدناه.

***

[182] - علي رضا باشا، **مرآت الجزائر**، ص 44 ـ 46.



مرآت الجزاير

مؤلفى

(على رضا پاشا)

مترجمى

على شوقى

هر حقى مترجمنه عائددر، مترجمنك مهرى اوليان
نسخه‌سى ساخته عد اولنور

فياتى اون اوچ غروشدر

خير الله افندى تاريخنك اون سكزنجى جلدينه قدر اقدمجه
طبع و نشر اولنه‌رق كتاب صاتيلان محللرده فيئات
مقروه‌سيله صاتلقده اولديغى كبى اون طقوزنجى جلدى
دخى دردست طبعدر

مجلس كبير معارفك تنسيبيله عموم مكاتب رشديه‌ده
تدريس اولنمق اوزره برمدتدنبرو جمع وترتيب اولنمقده
بولنان (مرآت تاريخ عثمانى) بوكره طبع اولنه‌رق
بوندن سائر هوسكاران عصرك دخى استفاده‌سيچون
مواقع معلومه‌ده بشقه‌جه صاتلقده‌در

سنه

١٢٩٣

الترجمة التركية لكتاب (مرآة الجزائر) لعلي رضا باشا
ويُؤخَذ من إحدى الإشارات فيه: أنّه ألّفه نحو سنة
(**1286**هـ/ **1870**م)، أي خلال ولايته الأولى على طرابلس

خلاصة مقارنة:

كما يمكن الخروج - من جهةٍ أخرى - من استعراض مجمل هذه المصادر التوثيقية لدلالة المصطلح في المرحلة المغاربية، بهذا الانطباع الجلي المقارن بين أوضاع الطوائف في الإيالات الثلاثة؛ إذ يبدو جلياً أنّ القولوغلية قد تفاوتت أوضاعهم واختلفت بهم الأقدار والمصائر:

(أ) - فبلغوا ذروة مجدهم الاجتماعي والسياسي في طرابلس خلال العهد القرمانلي، على وجه الخصوص[183].

(ب) - في حين كانوا في مرتبةٍ أدنى من ذلك بتونس[184].

(ج) - وأشدّ ضعفاً، وربما بلغوا مرحلة التهميش أحياناً في الجزائر[185].

---

183 ـ فهم مؤسسو هذا العهد؛ وهو الفاصل بين العهدين: العثماني الأول / والثاني، وسبق أن ذكرت في دراسة سابقة أبرز سماته التي تتمثل في أنّه: (محلي / مستعرب / مستقل). عمار جحيدر، **مصادر دراسة الحياة الفكرية في ليبيا في العهد القرمانلي (1123 ـ 1251هـ/ 1711 ـ 1835م)**، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2003، ص 16 – 18.

184 - انظر أيضاً بعض الإشارات الوثائقية في الدراسة التالية: د. أحمد قاسم، "مدينة تونس في العهد العثماني من خلال الوثائق"، **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، العدد التاسع والعاشر (أوت 1994) ص 241 ـ 316، وخاصة ص 304 ـ 306.

185 - انظر أيضاً البحث التالي الذي تعدّدت فيه الإشارات إلى القولوغلية: د. محمد أمين، "ملاحظات حول سياسة التهميش بولاية الجزائر العثمانية"، **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، العدد الخامس والعشرون (أوت / آب 2002) ص 17 ـ 41.

وقد نجد في هذا التفاوت تفسيراً لانفراد طرابلس - دون جارتيها - بتلك (الدلالة الوظيفية المتميِّزة) اللاحقة للمصطلح التي تنبع بالضرورة مما حظي به قولوغلية طرابلس من الامتيازات.

وتدلُّ مجمل المعطيات المتاحة في هذا السياق الدراسي المقارن بين الوجود العثماني في الإيالات الثلاثة:

(أ) - على أنّ الأتراك (الآباء) استأثروا بالجزائر.

(**ب**) - والأعلاج (الروم) استأثروا بتونس.

(**ج**) - والقولوغلية (الأبناء) استأثروا بطرابلس.

وقد نجد في هذه الخلاصة تفسيراً أوليّاً لجذور ذلك العداء الظاهر والحروب العديدة، خاصّةً بين الجزائر وتونس خلال هذا العهد، إذ يبدو أنّ هذا التنافس العرقي تجاوز الشأن المحلي إلى الفضاء المغاربي[186]. غير أنّ هذه

وانظر كذلك: د. محمد سي يوسف، "المرأة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني"، **في العدد المذكور نفسه من المجلة**، ص 65 - 85، إذ ناقش الباحث في آخره (**ظاهرة الكراغلة**) باعتبارهم من أبرز النتائج المتعلقة بقضية المرأة في ذلك العهد.

[186] - عن العداء المستحكم بين السلطتين في تونس والجزائر انظر، على سبيل المثال: أحمد بن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الجزء الثالث (النشرة الثانية بتحقيق الدكتور أحمد الطويلي)، تونس: الدار التونسية للنشر، 1990: (الخبر عن الحرب بين الجزائر وتونس وأسبابها)، ص 51 - 66. وقد اجتهد حمودة باشا في التخلص من هيمنة دايات الجزائر على بايات تونس، انظر المزيد من المتابعة: الدكتور رشاد الإمام، **سياسة حمودة باشا في تونس (1782 - 1814)**، من منشورات الجامعة التونسية، 1980، (حروبه: ضد الجزائر)، ص 379 ـ 405.

الشرائح السكانية الواسعة جميعاً قد تعرّبت ثقافياً مع الزمن، وانصهرت في النسيج الاجتماعي الثري لشعوب هذه الأقطار المغربية حتى اليوم.

الفصل الخامس
الدلالة الطرابلسية الوظيفية: المخازنية / قبائل المخزن
[المرحلة الثالثة]

(5 – 1)

فترات العهد العثماني الثاني ومصادرها الدّالة على المصطلح

1 ـ فترة الإيالة (1251 ـ 1282هـ / 1835 ـ 1865م):

اليوميات الليبية ـ الجزء الثالث (حسن الفقيه حسن).

يغطي الجزء الثالث من اليوميات الليبية (وهو مخطوط محقق، قيد النشر) جلّ فترة **الإيالة** من العهد العثماني الثاني؛ إذ يضمُّ بين أوراقه بشيء من التفاوت السنوات التالية: (1251 ـ 1277هـ/ 1835 ـ 1861م). ولم يبقَ بعده سوى بضع سنواتٍ على حركة التحوُّل إلى نظام **الولاية**.

وقد رصد هذا الجزء من اليوميات ظهور الدلالة الوظيفية الجديدة لمصطلح القولوغلية التي استقلّت بها طرابلس دون جارتيها تونس والجزائر، وتقدّمت الإشارة أعلاه إلى ما تميّزت به طائفة القولوغلية في طرابلس من مزايا ظاهرة في العهد القرمانلي، خلافاً لإخوانهم في الإيالتين المذكورتين، وهو ما يفسِّر ظهور هذه الدلالة الخاصة، إذ احتفظت بقايا القولوغلية ببعض المزايا في مطلع العهد الجديد أيضاً؛ نظير التزامهم بتقديم بعض الخدمات لسلطات

الإيالة؛ وهو ما دفع بعض القبائل القريبة المجاورة إلى التطلُّع إلى مشاركتهم في هذه الوضعية المتميِّزة.

وتتعدّد الإشارات النصِّيّة في هذا الجزء من اليوميات إلى طائفة القولوغلية بدلالتها المزدوجة: بقايا القولوغلية الأصليين / والقولوغلية الجدد الاسميين ـ الموظفين الذين خصّهم المؤرخ الحصيف بهذا التصنيف الطريف (**كوارغلية أولاد عرب**)؛ وهو ما يفيد قطعاً التمييز العرقي الصريح لهم عن ذوي اللقب الأصليين القدامى. وقد آثرتُ أن أورد عنهم ـ بفئتيهم ـ عدداً من الإشارات النصِّية في الفقرات التالية؛ توثيقاً لهذه المرحلة الانتقالية (المحلية) في دلالة المصطلح العثماني.

وينبغي أن نلاحظ في هذا السياق أيضاً أنّ هذه المرحلة ونصوصها المدرجة أدناه مقدِّمة طبيعية لما سنقفُ عليه كذلك من نصوص الدلالة الوظيفية الصريحة التالية في (**سالنامات الولاية**)، على وجه الخصوص:

أ ـ الكوارغلية الأصليون:

* "وعبيد الممشى وصبايحية[187] وعبيد وكوالغية[188] المنشية والساحل وتريس وغيره"[189].

---

[187] – صبايحية: فرسان.

[188] – يبدو جلياً أنّ هذه الصيغة الجديدة للمصطلح لديه من أثر السماع عن الأتراك العثمانيين القادمين في مطلع العهد الجديد.

[189] – **اليوميات الليبية**، ج 3 (مخطوط) اليومية 395 (17 جمادى الثاني 1255).

* "توفي علي بيزان باش آغة[190] الكوارغلية .... جعلوا [مكانه] الحاج محمد اندیشه باش آغه"[191].

* "كسا فيه أفندينا مشير محمد باشا محبّنا أحمد الأبيض آغة الكوارغلية: مصراتة وساحل وزليطن ومسلاتة وغيره، كسوة أنزام[192]، وعطاه النيشان بالضيامنط، وسقده[193] إلى مصراتة"[194].

* "قدم علينا ولد التركي كورغلي التاجوري، ومعاه خمسة خيّالة بجوابات من حضرة أفندينا أحمد باشا"[195].

ب ـ بدايات الاختلاط / المزج بين القولوغلية وبعض القبائل القريبة:

* "وقع فيه ميز[196] وذلك حزّمت فيه عرب المنشية والساحل وجواري وكوالغية وسبيب[197] من ورشفانة ومن الماية والطويبية وغيره، وصار ميز كبير

---

190 - باش آغة: كبير / رئيس الآغاوات، ويتضمن معنى القيادة.

191 - **المصدر نفسه**، ج 3 اليومية 680 (20 ـ 21 جمادى الأول 1256 هـ).

192 - أنزام: نظام (الجيش النظامي الجديد) الذي طبق في أواخر العهد القرمانلي. **اليوميات الليبية** (ج 1 ص 353).

193 - سقده: أرسله، ودّعه.

194 - **المصدر نفسه**، ج 3 اليومية 3890 (15 جمادى الثاني 1258 هـ).

195 - **المصدر نفسه**، ج 3 اليومية 4258 (27 ربيع الأول 1259 هـ).

196 - ميز: استعرض لفرق الفرسان (اختزال من التمييز) وهو مصطلح مغربي قديم. **اليوميات الليبية** (ج 1 ص 278).

197 - سبيب: فرسان.

ما بين سبيب وتريس، وذلك بحضرة أفندينا أشقر علي باشا والي كرسي طرابلوس[198] غرب ـ دام عزه"[199].

* "خرج الإذن من أفندينا علي باشا إلى باش آغه محبّنا علي بيزان، على أنّه يوم السبت الآتي يبغي الجواري والكوارغلية يجعلوا ميز بباب المنشية سبيب، و لا يتخلف أحد منهم"[200].

* "وقع فيه ميز عرب ورشفانة وجواري وكوارغلية الزاوية الغربية، وذلك في الأزرارية"[201].

ج ـ ظهور المصطلح المحلي / الوظيفي (الكوارغلية أولاد عرب):

* "خرج العسكر المنصور إلى المحلة[202]، ومعاهم باكير باي ومدافع وسبيب وعبيد الممشى وكوالغلية أولاد عرب"[203].

* " تولى إسماعيل باي بنباشي[204] باش آغة على الخيل كوارغلية أولاد عرب"[205].

---

198 - صيغة عثمانية في الاسم.

199 - **المصدر نفسه**، ج 3 اليومية 3262 (14 رجب 1255 هـ).

200 - **المصدر نفسه**، ج 3 اليومية 3267 (17 رجب 1255 هـ).

201 - **المصدر نفسه**، ج 3 اليومية 3576 (3 صفر 1257 هـ).

202 - هل يُستشفُ من هذه العبارة التفريق في الدلالة بين العسكر المنصور (الفرقة النظامية)، والمحلة ؟

203 - **المصدر نفسه**، ج 3 اليومية 3355 (16 شوال 1255 هـ).

204 - رتبة عسكرية عثمانية.

205 - **المصدر نفسه**، ج 3 اليومية 3447 (10 صفر 1256 هـ).

* "خدا فيه أفندينا محمد باشا صاحب ولاية طرابلس غرب، الخيل التي عند الصبايحية انتع كوالغلية أولاد عرب، وعطاهم إلى عبيد الممشى الذين عند عبد الرحمن بوقبّة..."[206].

ونتيجة لقدوم الأتراك العثمانيين الجدد في مطلع العهد العثماني الثاني شاع في **(معجم المؤرخ)** هذا التمييز بين الطرفين في شرائح عسكريةٍ ومدنيةٍ أخرى، إذ نجد لديه أيضاً - على سبيل المثال: "أنزام أولاد عرب"[207]، و"عساكر أولاد عرب"[208]، و"طبجية أولاد عرب"[209]، و"معاهم نحو ميّات عسكر من أولاد عرب مصرية"[210]، و"الأنزام الشامية الذين في فندق سوق الخضارة"[211]، و"الخوجاوات الأتراك وكتاب أولاد عرب"[212]، و"ختموا بجامع الدروج بعد العصر الذي يقروا فيه القرآن أولاد عرب وأتراك"[213].

---

206 - **المصدر نفسه**، ج 3 اليومية 3965 (3 رجب 1258 هـ).

207 - **المصدر نفسه**، ج 3 اليومية 3196 (24 جمادى الأول 1255 هـ).

208 - **المصدر نفسه**، ج 3 اليومية 3975 (5 رجب 1258 هـ).

209 - **المصدر نفسه**، ج 3 اليومية 1004 من الترقيم الجديد (3 شوال 1268 هـ).

210 - **المصدر نفسه**، ج 3 اليومية 3849 (3 جمادى الثاني 1258 هـ).

211 - **المصدر نفسه**، ج 3 اليومية 3999 (12 رجب 1258 هـ).

212 - **المصدر نفسه**، ج 3 اليومية 72 من الترقيم الجديد (18 محرم 1260 هـ).

213 - **المصدر نفسه**، ج 3 اليومية 4112 (26 رمضان 1258 هـ).

د ـ التجنيد / والمهمات:

* "ونبّه على مشايخ المنشية والمشايخ انتع الساحل، على أنّه يبغي من عرب المنشية ثلاثة ميّات نفر، ومن عرب الساحل أربعة ميّة وخمسين نفر، ونبّر[214] عليهم على أنّهم يعملوا حاضر، وقت يطلبهم يجدهم حاضرين"[215].

* "خرج أمر أفندينا أشقر علي باشا إلى القايد[216] محمد الطبجي والباي خليل بن عبد الله: يكتب من عندهم نفر عدد 200 ... والتريس[217] المذكور وسبيب الكوارغلية والعسكر يبغوا يرسلوه محافظاً على البلاد"[218].

* "توجّهوا ماتين نفر؛ الثلث من المنشية والثلثين من الساحل، توجّهوا مع المونة إلى المحلة المنصورة إلى حضرة أفندينا أحمد باشا في غريان"[219].

* "توجّه الحاج محمد الأشتر إلى الجون[220] بالناس عرب الساحل والمنشية إلى القصر؛ وذلك لأجل عسّة.

*روّح في 21 ربيع الثاني 1262هـ"[221].

---

214 - نبّر: أعلن وبيّن.

215 - **المصدر نفسه،** ج 3 اليومية 3294 (6 شعبان 1255 هـ).

وسنقفُ أدناه على وثائق لاحقة تشير إلى تخصيص مثل هذه الأعداد من المنشية والساحل وغيرهما من القبائل القريبة.

216 - القايد: لقب إداري مدني (لإحدى الجهات أو الطوائف). **اليوميات الليبية** (ج 1 ص 231).

217 - التريس: المشاة.

218 - **المصدر نفسه،** ج 3 اليومية 3324 (14 رمضان 1255 هـ).

219 - **المصدر نفسه،** ج 3 اليومية 3622 (20 ربيع الثاني 1257 هـ).

220 - جون الكبريت (خليج سرت).

* "رحلت المحلة المنصورة منشية وساحل وعسكر ترك وسبيب، وكبيرهم علي الصغير على أولاد عرب وجواري، وعلى العساكر صبري باي إلى سرت"[222].

2 ـ حركة التحوُّل من الإيالة إلى الولاية (1282هـ/ 1865م):

مثلما يُقسّمُ العهد العثماني الأول من منظور (المركزية / واللامركزية) في بسط النفوذ إلى: فترة الولاة ـ الباشاوات (بكلربكلرى Beylerbeyileri) المرتبطين كلياً بالمركز / وفترة الدايات المستقلين نسبياً عنه؛ ينبغي اليوم أيضاً تقسيم العهد العثماني الثاني من حيث (المحتوى الإداري) إلى فترتي الإيالة / والولاية، والإشارة إلى حركة هذا التحوُّل بالخلاصة التالية.

ففي (سياق) حركة التحديث والتحوُّلات الإدارية التي عُرفت **بالتنظيمات** (1839 ـ 1876م) تنويهاً بما وُضِعَ فيها من اللوائح والقوانين والتشريعات، انتهت الدولة العثمانية إلى اختيار نظام الولاية، وإصدار قانون الولايات **(ولايت نظامنامه سى)** سنة (1281هـ/ 1864م)[223]، اقتباساً من النظم

---

221 - **المصدر نفسه،** ج 3 اليومية 347 من الترقيم الجديد (25 شوال 1261 هـ).

222 - **المصدر نفسه،** ج 3 يومية دون رقم في آخر الجزء المخطوط (12 شوال 1276 هـ).

223 - **Vaka - Nuvis Ahmed Lutfi Efendi Tarihi** , yayina hazilayan M. Munir Aktepe c. x (Ankara 1988) s. 126.
(**تاريخ أحمد لطفي أفندي**؛ وقعهءِ نويس / المؤرخ الرسمي للدولة العثمانية).

والقوانين الفرنسية[224]. وقد أُعِدّ هذا القانون الذي قامت بصياغته لجنة من كبار رجال الدولة باسم ولاية طونه (بلغاريا اليوم) التي شُكِّلت من بضع إيالات، وعُهِد بتطبيقه فيها ـ كتجربةٍ أولى ـ إلى رجل الدولة المعروف مدحت باشا (1822 ـ 1884م) الذي اشترك في صياغته، ونُصب والياً عليها[225]. ونُشر القانون في الصحيفة الرسمية (**تقويم وقايع**)[226]، ثم عُمِّم تطبيقه على الولايات اللاحقة[227]، وتوالى تشكيل الولايات العثمانية التي طبِّق فيها هذا القانون، فبلغت 10 ولايات في أوربا، و16 ولاية في آسيا، وولاية واحدة (طرابلس غرب) في أفريقيا[228].

---

224 - Enver Ziya Karal, **Osmanli Tarihi** , VII. Cilt (**Islahat Fermani Devri 1861 - 1876**) 4. Baski, Ankara 1988, s. 154 .
(**التاريخ العثماني، الجزء السابع**: **عهد فرمان الإصلاح 1861 ـ 1876**).

225 - علي حيدر مدحت، **مدحت باشا**: **حيات سياسيه سى، خدماتى، منفا حياتى**، إستانبول 1325 (بالتركية العثمانية).

M. Tayyip Gokbilgin, "Midhat pasa", **Islam Ansiklopedisi**, c. 8 (Istanbul 1987) s. 270 – 282
(**دائرة المعارف الإسلامية** باللغة التركية، الإصدار الأول، مادة: مدحت باشا).

226 - **تقويم وقايع**، العدد 773 (7 جمادى الآخر 1281).

227 - أدرج فيما بعد في المجموعة القانونية التي ضمّت مختلف النصوص ونشرت باسم: **دستور**، إستانبول: مطبعه عامره، 1289، ج 1 ص 608 ـ 624.

228 - د. إيلبر أورطايلي، "النظم الإدارية في عهد التنظيمات الخيرية وما تلاه"، ضمن كتاب: **الدولة العثمانية - تاريخ وحضارة**، إشراف وتقديم د. أكمل الدين إحسان أوغلى، نقله إلى العربية د. صالح سعداوي، إستانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 1999، ج 1 ص 313 ـ 378، وخاصة ص 349.

وتفيد مصادر الأرشيف العثماني الرسمية أنّ (فرمان) هذا التحوُّل في طرابلس قد صدر خلال السنة التالية بتاريخ 18 ربيع الثاني 1282هـ (10 - 9 - 1865م)، مع إبقاء الولاية في عهدة واليها آنذاك محمود نديم باشا[229]. وبذلك يكون هذا الوالي (المخضرم) آخرَ والٍ في نظام الإيالة الذي قضى به نحو خمس سنوات، وأولَ والٍ في نظام الولاية الذي قضى به نحو سنة وبضعة أشهر، إذ عُزِلَ منها في 15 صفر 1284هـ (18 - 6 - 1867م)، وعُيِّنَ بدلاً منه علي رضا باشا[230] الذي يصادفنا في هذا السياق أنّه الوالي الوحيد من طائفة القولوغلية - وإن جاء من إيالةٍ مغربيةٍ أخرى مجاورة - كما تقدّمت الإشارة إليه أعلاه.

وقد كانت حركة التحوُّل إلى نظام الولاية، وما تخللها من لوائح وقوانين ونظم، وراءَ كثير من مظاهر التحديث اللاحقة التي شهدتها الولايات العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بشيءٍ من التشابه، مع قدرٍ من الفروق والتفاوت الذي يرتبط بظروف كلِّ ولايةٍ بطبيعة الحال. وعلى ذلك يمكن القول باختصار إنّ الفرق الجوهري بين مصطلحي (**الإيالة / والولاية**) يتمثل في تطور البنية الإدارية للولايات، وما صحبها من مظاهر التحديث في مختلف المجالات، ضمن المحيط العام لحركة الإصلاح العثماني.

---

229 - **أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، مهمه دفترى**، رقم 262، ص 126 ـ 127.

230 - **أ. ر. و. إ، تصنيف اراده ـ مجلس مخصوص**، وثيقة رقم 1240.

- مسألة القولوغلية:

يبدو جلياً أنّ قبائل القولوغلية الوظيفية قد استشعرت، في هذا الظرف بالذات، شيئاً من الضرورة لتنظيم صفوفها؛ حرصاً على الانفراد بامتيازاتها، وهو ما نقفُ عليه من خلال الوثيقة المبكرة الذاتية التالية التي بادرت إلى تقديمها بعد بضعة أشهر من فرمان التحول، ونستشفُ من خلالها أيضاً أنّ قبائل أخرى عديدة كانت تتشوّفُ إلى نيل تلك الامتيازات، كما تليها مضبطة مجلس الإدارة التي أقرّت هذا الأمر وأحالته إلى استانبول. وخلاصة الأمر تتمثل في طلب أربع قبائل (أو جهات سُكّانية) بحصر هذه المهمة فيهم، واستعدادهم للاضطلاع بها، وتخصيص ما يلزم من الفرسان والمشاة لها، على النحو التالي:

القبيلة	فارس	رجل
المنشية والساحل	200	2000
الجواري	500	400
ورشفانة	500	600
المجموع	1200	3000

- وثيقة ذاتية لتحديد قبائل القولوغلية الوظيفية (بالأرشيف العثماني):

وثيقة (1)

معروض الداعين بدوام دولتكم.

"إنّنا عبيدكم الواضعين أمهارنا أسفله أربعة قبايل كوارغلية أهالي المنشيا والساحل والجواري وورشفانة، من قديم الزمان [كذا] ونحن في خدمة الدولة العلية إلى الآن، ولا يخفى [على] دولتكم أنّ فيه **بعض ناس حاسبين أنفسهم كوارغلية من أهالي القضاءات**، ومن المعلوم أنّ جميع لوازم الدولة فنحن الماموروں بها من دونهم؛ فإن لزمت مصلحة بقضاء مسراتة كان خطومنا[231] على قضاء تاجوراء والجفارة والخمس ويازليتن، وإن كانت إلى الجبل فطريقنا على قضاء جانزور والزاوية وغريان، وإن كانت إلى ورفلة فطريقنا على قضاء ترهونة، وإن كانت إلى قضاء زوارة فطريقنا أيضاً على قضاء جانزور والزاوية والعجيلات. ولم يحصل لنا منهم ممن زعم هو منا معاونة بشيء ما في خدمة الدولة العلية، **وإنّما لهم اسم الكوارغلية فقط**، وأمّا التعب فلنا وهم لهم كامل الراحة.

ومع أنّنا نتوجهوا إلى كارغول[232] فزان وسرت وبذلك حصل لعبيدكم كامل التعب والمشقة، فلما طرق مسامعكم الشريفة وتحقق لكم حالنا وما نحن فيه [غارت][233] همّتكم الفاخمة فتفضّلتم علينا بإبطال كارغول فزان وسرت، فصرنا بذلك ممنونين، وللدولة العلية بالخير داعين، ولصنعكم الصايب متشكرين، وبالبقاء لكم وطول العمر.

---

231 - خطومنا: مرورنا.

232 - كارغول: حراسة.

233 - في الأصل: عارت، بسقوط نقطة الغين سهواً.

وعلى هذا فإنّنا دايم الأوقات ملازمين لخدمة الدولة العلية، ومتعهدين دايم الأوقات بإحضار ماتين فارس وألفين رجلاً من أهالي المنشيا والساحل، ومن الجواري خمسماية فارس وأربعماية رجل، ومن ورشفانة خمسماية فارس وستماية رجل؛ بخيول طيِّبة وأسلحة كذلك ورجال ثابتة، ومداومين في الخدمة ولدى الأمر والنهي في خدمة الدولة العلية، وأن لا يتداخل معنا أحد في الخدمة المذكورة من أهالي تاجوراء والجفارة والخمس وزليتن ومسراتة ومسلاتة وورفلة وترهونة وغريان وساير القضاءات في خدمة الكوارغلية، سوى نحن الأربعة قبايل لنكونوا بذلك ممنونين ولخدمة الدولة واقفين.

ولأجل الترجِّي فيما بيّناه وحرّرناه بتعهدنا على الوجه المشروح وإبقاينا كوارغلية على حالتنا السابقة تجاسرنا بتقديم هذا العرض، وباقي الأمر أفندم.

في 5 شعبان سنة 1282هـ **بك باش آغا ختم**: [**علي بن أحمد صغير**]".

وأسفله 65 ختماً منهم، يليها التعليق التالي:

"قد صارت قراءة هاذا التعهد **بمجلس إدارة الولاية** جهراً، وفهمنا ما احتوى عليه وقبلنا الشرايط والتعهدات المندرجة به بعد التأمل، ولذلك صار هاذا البند يوم تاريخه في 5 شعبان سنة 1282هـ.

والي ولاية طرابلس، ختمه [محمود نديم]".

وإزاءه 13 ختماً من أركان الولاية وغيرهم من الموظفين، مع أربعة مواضع شاغرة لأختام الغائبين[234].

[234] - أ. **ر. و. إ. تصنيف داخلية ـ مجلس والا**، وثيقة رقم (**24622**) لف 12.

***

وثيقة (2)

ولاية طرابلس غرب إلى مقام الصدارة العظمى [مقام عالى وكالتبناهى يه]

"إنّه[235] لما أن كانت إدارة القول اوغلية الموجودين بدائرة ولاية طرابلس غرب ليست تحت نظام من الأصل، وبذلك صارت بعدها أمور الإدارات فيهم مشوّشة من غير نظام ولا انتظام إلى أن حصلت فيهم القلة وضعف حال وقتهم، ومع هذا فإنّ الأحوال المشوّشة التي اكتسبتها القضاءت والقبايل الملتحقين لهؤلاء من جهة المعافية العمومية[236] الصائرة لهم الحاصلة بها أنواع التلفات[237] المتنوعة للخزينة الجليلة المشهودة وقوعها في أموال المقطوع[238] وفي واردات العشرية[239] والرسومات[240] وما عدا ذلك، فإنّ خدمتهم الملتزمة للعسكرية وللتحصيلات[241] أيضاً فمن غير[242] بلوغها لحكم العدم،

---

235 - يبدو جلياً من الخط والإملاء أنّ مترجم الوثيقة مشرقي عثماني، وليس من أهالي الولاية.

236 - من الضرائب نظير خدماتهم.

237 - التلفات: بمعنى الأضرار والخسائر المالية.

238 - المقطوع: الأداء المالي الاستثنائي.

239 - واردات العشرية: الأعشار الشرعية.

240 - الرسومات: الضرائب / والجمارك.

241 - التحصيلات: الجباية.

242 - كأنّ مراده بهذه العبارة: وفضلاً على بلوغها حكم العدم، فإنّ نوع هذا العسكر الخ.

فإنّ نوع هذا العسكر لم شوهدت [كذا] لهم ثمرة[243] من غير الخسارة للخلق والمصلحة إلى أين ما لزم سوقهم لمحل من المحلات.

ولوجود ذلك على هذه الحالة فإنّه في هذه الدفعة صار **تخصيص خدمة القول اوغلية إلى قبايل الساحل والمنشيا والجواري وورشفانة، ورفع**[244] اسم **القول اوغلية من القبايل والنواحي الملحقة،** وفي الحقيقة إنّ هذا الابتدار[245] الصائر من هؤلاء الأربعة طواقم إلى مجلس الإدارة على هذا الوجه الواقع تحت شرايط وانتظام **بترتيب ألف وماتين نفراً عسكر ركّابة خيل، وثلاثة آلاف وماتين نفراً عسكر تريس،** واندفاع آثار الثقل الموجود على الأهالي بذلك معدود من موفقيت حضرت [كذا] مولانا السلطان الموهوبة لحضرته من فيوضات الحضرت [كذا] القدسية، وعليها نتشكروا على وقوع هذا الانتظام، وقوة العسكر الآتي للوجود بلا تكلُّف ولا مصروف الذي لم يخطر ببال سابقاً، البالغ قدره المثل مثلين[246] على ترتيب العسكر السابق، الكافي لأمر المحافظة وحصول الأمنية به من كل جهة حين الاقتضاء ـ الله لا يكون ذلك.

---

[243] – ثمرة: فائدة.

[244] – رفع: بمعنى إلغاء.

[245] – الابتدار: المبادرة.

[246] ـ المثل مثلين: الضعف.

وعلى ذلك فإنّه على موجب الشروط الواقعة من الأربعة طواقم المذكورين صار التصويب بالاتحاد[247] والممنونية في **تأمين معافيتهم السابقة في مقابلة خدمتهم**، ولذلك نرجوا حصول الفضل واللطف بمقارنة ذلك بالقبول العالي في استخدام هؤلاء على هذه الصورة بمعافيتهم المصممة؛ ليكون بذلك حصول الأمنية لقلوب القول اوغلية، وإلى الجملة مع ما فيه من قول اوغلية المحلات والقبايل الذي [كذا] صار إقرارهم الذي تحصل من أعشارهم ولزمتهم ومقطوعهم الواردات الكلية[248] إلى الخزينة الجليلة.

ولذلك صار الابتدار لعرض ذلك مع الافتخار، وعلى كل حال الأمر والفرمان لحضرت [كذا] من له الأمر. في 5 شعبان سنة 1282هوفي 11 كانون أول سنة 1281 [مالية].

بك والي طرابلس غرب، ختمه [محمود نديم]".

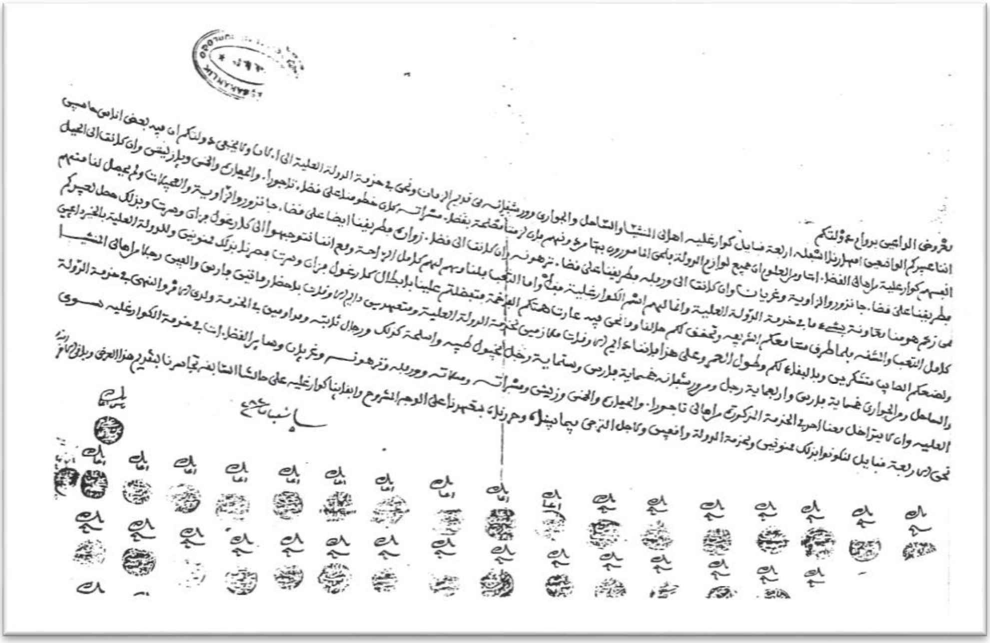
وإزاءه 13 ختماً من أركان الولاية وغيرهم من الموظفين، مع ثلاثة مواضع شاغرة لأختام الغائبين[249].

---

[247] - الاتحاد: كأنّ مراده بها: بالاتفاق، أو كما يقال اليوم بالإجماع.

[248] - الكلية: بمعنى الكثيرة.

[249] - **المصدر نفسه**، لف 8.



(وثيقة القولوغلية بالأرشيف العثماني)

3 ـ فترة الولاية إلى إلغاء امتيازات القولوغلية (1865 - 1902م):

1 - العدد الأول من صحيفة طرابلس غرب (1283هـ/ 1866م).

وقفت منذ عدة سنوات في (أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول) على العدد الأول من صحيفة (طرابلس غرب)، وقدّمتُ عنه مساهمة بحثية سابقة[250]. وفي هذا العدد البكر من الصحيفة الرسمية نقف على إفادةٍ مبكرةٍ نسبياً عن الدلالة الوظيفية لمصطلح القولوغلية. إذ تنقسم الأخبار في القسم التركي منها إلى: **(حوادث محلية، حوادث عمومية، حوادث خارجية)**، وقد كان أهم الأخبار المحلية وأكثرها تفصيلاً يتعلق بقائمة الهيكل (أو الكادر) الإداري بمركز الولاية الذي نقف فيه على الوظيفة التالية قرين اسم صاحبها: "**كبير آغاوات (باش آغه) عساكر القولوغلية السلطانية: علي الصغيّر آغا**". وهكذا يبدو جلياً في هذه الإشارة الموجزة، الطابع الوظيفي / شبه العسكري لجموع القولوغلية في هذه المرحلة من دلالة المصطلح الذي جاء في أصله العثماني بالصيغة التالية: **(قول اوغلى عساكر شاهانه باش آغاسى)**.

---

[250] - عمار جحيدر، "بدايات الصحافة الليبية: العدد الأول من صحيفة طرابلس غرب 1283هـ/ 1866م"، ضمن أعمال ندوة: **المجتمع الليبي (1835 ـ 1950)**، تحرير الدكتور محمد الطاهر الجراري، طرابلس: مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية، 2005.

2 – سالنامات ولاية طرابلس (1286 – 1312هـ/ 1869 – 1894م).

السالنامة SALNAME لغوياً اسمٌ أو مصطلحٌ أطلق على الآثار المطبوعة المرتبة بناءً على استعراض مجموعة حوادث خلال سنة، وقد دخل هذا المصطلح إلى اللغة التركية العثمانية خلال عهد التنظيمات، والكلمة مركّبة من الكلمتين الفارسيتين: (سال) التي تعني سنة، و(نامه) التي تعني رسالة أو كتاباً، والمعنى المركّب: كتاب السنة، أو (الحولية) في العربية. ويقابل هذا المصطلح في التركية اليوم بكلمة YILLIK.

وقد ظهرت السالنامات في الدولة العثمانية تأثراً بما شوهد من فوائدها في أوربا، وصدر العدد الأول من سالنامة الدولة العثمانية سنة (1263هـ/ 1847م). ثم تعدّدت أنواع السالنامات وصدرت عن مختلف مؤسسات الدولة المدنية والعسكرية، كما أصدرت مختلف الولايات العثمانية (نحو أربعين ولاية) سالناماتها الخاصة التي اختلفت بدايات صدورها / وأعدادها الصادرة في كل ولاية، وأولها صدوراً سالنامة ولاية البوسنة (1283هـ/ 1866م)، وأكثرها صدوراً سالنامة ولاية بورصة (37 عدداً).

وتغطي هذه المجموعة الضخمة من السالنامات نحو 75 سنة ما بين (1847 - 1922م)، وتضمُّ معلوماتٍ مهمّة جدّاً حول التاريخ العثماني آنذاك، وتتناول التشكيلات الإدارية والمؤسسات والتراجم وميادين العلم والاقتصاد والسياسة والشؤون العسكرية والثقافية وغيرها من الميادين. وقد اشتملت على كثير من الإحصائيات الرسمية التي يندر وجودها في غيرها من المصادر.

كما ساهم إصدار السالنامات في انتشار الطباعة في كثير من الولايات العثمانية. وقد استعملت إلى جانب التركية العثمانية بعضُ اللغات الأخرى أحياناً في تحرير السالنامات بشكل مزدوج، وتلك اللغات هي العربية واليونانية والبوسنية والفرنسية، وصدر أحد أعداد سالنامات ولاية الحجاز (1303هـ/ 1886م) بالعربية وحدها[251].

وتنبغي الإشارة في هذا السياق بإيجاز إلى مجمل الملاحظات التالية عن سالنامات ولاية طرابلس:

(أ) - الأعداد (1 - 12) طبعة حجرية، والعدد الأخير الذي يليها طبعة بالحروف الحديثة.

(**ب**) - الأعداد (1 - 9) باللغة التركية العثمانية، والأعداد (10 - 13) ثنائية اللغة بالتركية والعربية، كما أضيفت إليها بعضُ المواد الجديدة؛ ولذلك تضاعفت أحجامها.

(ج) - الأعداد (4 ، 10 ، 11 ، 12 ، 13) لا تشمل سنجق بنغازي لفصله إدارياً (ولاية / أو متصرفية مستقلة).

---

[251] - عن السالنامات انظر العمل القيم التالي:

, **Osmanli Yillikleri : (Salnameler ve Nesaller)**, Istanbul 1982 .
Hasan Duman

لهذا الكتاب تقديم (للدكتور أكمل الدين إحسان اوغلى)، وغلاف بالعربية أيضاً، وعنوانه: **الفهرس الموحّد للتقاويم العثمانية: السالنامات والنوسالات الموجودة في مكتبات استانبول**، من منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، 135 ص.

(د) – لم تصدر ولاية / أو متصرفية بنغازي أية سالنامة خاصة.

التشكيلات الإدارية للقولوغلية – الوظيفية في العددين:
الأول / والأخير من سالنامات ولاية طرابلس الغرب نموذجاً

العدد	التاريخ	الصفحات	تشكيلات القولوغلية
الأول	1286هـ 1869م	97	القضاءات والنواحي المربوطة [رأساً] بمركز الولاية قائممقامية [أي قضاء] القولوغلية **قائممقام علي صغير آغا. [اصطبل عامره][252].** **مدير المرابطين سليمان أفندى.** **مدير المنشية يوسف آغا.** **مدير الساحل أحمد بك.** **مدير الجواري سالم آغا.** **مدير الرقيعات حاجى محمد آغا.** **مجلس القائممقامية المذكورة** **الأعضا:** **محمود آغا. [قبوجى باشى][253].** **علي آغا.** **حسن آغا.** **ميلاد آغا.** **زائد آغا.**
*	*	*	***

[252] – اصطبل عامره: رتبة إدارية.

[253] – قبوجى باشى: رتبة إدارية.

الثاني عشر ـ مكرر. الثالث عشر]	1312هـ 1894م	216	ملحقات سنجق المركز باش آغاوية القولوغلية باش آغا محمد صغير [قبوجى باشى 2 ص 92 م 4 ـ 12 ص 1305]. مدير المنشية الحاج أحمد قزقو أفندى. مدير الساحل الحاج محمد مجراب أفندى. مدير الرقيعات الحاج محمد بن هجرس آغا. [م 4، 12 ص 1305]. مدير العلاونة أحمد بن رخيص آغا. [م 4، 12 ص 1305]. مدير الجواري الحاج مسعود شيتة آغا. كاتب المال للباش آغاوية الحاج محمود حلمي أفندي الملياني. كاتب التحريرات أحمد كامل قرقني أفندى. عضو المنشية الحاج إبراهيم الميت أفندى. عضو الساحل الحاج محمد الهمالي أفندي. عضو الرقيعات محمد الصغير أفندي. " الحاج علي عربي أفندي. عضو العلاونة علي بن زايد الأشهب أفندي. " خليفة الحمروني أفندي. عضو الجواري الحاج محمد أبو قمجة أفندى. " الحاج خليفة بصيرة أفندي. أمين الصندوق رجب شاكر أفندي.

مركز سنجاغی ملحقاتی

قول اوغلی باش اغالغی

باش اغا محمد صغير اغا قپوجی باشی ٢ ص ٩٢ م ٤ — ١٢ ص ١٣٠٥
منشيه مديری حاجی احمد قزقو افندی
ساحل « حاجی محمد مجراب افندی
رقيعات « حاجی محمد بن هجرس اغا م ٤ ١٢ ص ١٣٠٥
علاونه « احمد بن رخيص اغا م ٤ ١٢ ص ١٣٠٥
جواری « حاجی مسعود شيته اغا
باش آغالق مال كاتبی حاجی محمود حلمی افندی مليانی
تحريرات كاتبی احمد كامل قرقنی افندی

(قضاء القولوغلية في العدد الأخير من سالنامة الولاية)

3 – مخطوط عسكري عثماني (1308هـ/ 1306 مالية/ 1890م).

تقريرٌ عسكريٌّ مطوّلٌ وضعه ثلاثة من ضباط الأركان العثمانيين عن زيارتهم الرسمية إلى طرابلس وبنغازي، وقدّموه إلى السلطان عبد الحميد الثاني، وهم: العقيد إبراهيم محيي الدين بن أمين (رئيس اللجنة)، ومحمد فؤاد، وعثمان ذكي. وعنوانه الأصلي: **(طرابلس وبنغازيده اجرا ايلديكمز اركان حربيه**

سياحتنه دائر اولان تعليمات عاجزانه مزك خلاصه سيدر). أي ما مؤدّاهُ: (خلاصة تنبيهاتنا عن زيارتنا العسكرية التي أجريناها في طرابلس وبنغازي).

يقع المخطوط في نحو (70) ورقة تتخللها بعض الورقات البيضاء في آخره، وتتضمّن التقرير الأصلي عن طرابلس وبنغازي، مع عدّة جداول إحصائية عسكرية، وذيل جلُّه عن السكان في قوائم عديدة، كما أدرجت في سياق التقرير، وفي آخر المخطوط، بعض الوثائق المعاصرة التي قُدِّمت إلى اللجنة الاستكشافية من طرف بعض رجال الولاية من العسكريين والمدنيين. وهذا المخطوط / التقرير المطوّل مؤرخ في (19 ربيع الآخر 1308هـ/ 13 تشرين الثاني 1306 من التقويم المالي) الموافق (26 -11- 1890م). ونظراً إلى حجمه المطوّل، ووضعه على هيئة كتاب، وحفظه ضمن مكتبة السلطان عبد الحميد الثاني التي ضمّت في مطلع العهد الجمهوري إلى مكتبة جامعة استانبول، حيث يحمل اليوم بها في قسم النوادر رقم (TY 8897): أي مخطوطات تركية، فإنّه يُصنَّفُ في هذا السياق - كما ترى - ضمن المخطوطات التي تختلف عن التقارير الكثيرة القصيرة المحفوظة عادة بالأرشيف العثماني (أرشيف رئاسة الوزراء) باستانبول.

ويضمُّ هذا المخطوط العسكري العديد من التفاصيل عن أحوال الولاية العامة، ويستهدف - على وجه الخصوص - الكشف عن إمكانيات المقاومة وصدِّ أيِّ عدوان خارجي من الشمال. وقد ألحق الضباط المؤلفون بتقريرهم مجموعة من الخرائط التي حُفظت مع المخطوط نفسه، ومنها أربعة صغرى،

وخريطة مفصّلة كبرى عن مواقع القبائل أو (توزيع السكان) تتشكّل من (44) قطعة ثبتت على أرضيةٍ مستطيلةٍ من القماش في أربعةِ صفوفٍ بواقع (11 × 4)، ويبلغ حجمها الكلي (170 × 577 سم)، ولعلها أكبر الخرائط المتعلقة بليبيا في المجموعات العثمانية، ويمكن أن تشكل **(لوحةً جدارية)** قيِّمة.

وتتعدّد الإشارات والإفادات عن القولوغلية في هذا الأثر العسكري المخطوط، وقد يتعذّر جمعها في هذا السياق؛ لذا سأكتفي هنا بالإشارة إلى بعض العناوين الدّالة، مع اقتباس أحد الجداول الإحصائية نموذجاً للسمات العسكرية التي غلبت على القولوغلية الوظيفية في هذه المرحلة من دلالة المصطلح. ومن ذلك نقفُ - على سبيل المثال المجمل - على العناوين التالية:

* القولوغلية وأهالي الولاية[254].

* ملاحظات عن التنسيقات العسكرية للقولوغلية والأهالي[255].

* صورة جمع وحشد القولوغلية والأهالي الذين سنتمكّن من جمعهم عند الحاجة، وأعدادهم؛ وفقاً لترتيبات الدفاع التي ستذكر أدناه[256].

* صورة تسليح القولوغلية والأهالي[257].

---

254 - **المخطوط**، ورقة 7 ـ أ.

255 - **المصدر نفسه**، ورقة 9 ـ أ.

256 - **المصدر نفسه**، ورقة 16 ـ ب.

257 - **المصدر نفسه**، ورقة 17 ـ أ.

* مع عدّة إشارات إلى القولوغلية بالمعنى العرقي القديم ضمن قوائم السكان، في المنشية والساحل، وجنزور، وتاجوراء، والزاوية، والخمس، وزليطن، ومصراتة[258].

أمّا الجدول التالي فهو من خلاصة دفتر أعدّه (قائممقام / عقيد) من العساكر السلطانية، عُيِّن مؤخراً بصفةٍ مؤقتةٍ (للباش آغاوية) عمّن هم تحت السلاح، ومن يمكن جمعهم عند الحاجة.

	الملزمون بالالتحاق بالسلاح				مَنْ يجمعون عند الحاجة		
	المشاة	الفرسان	المجموع	*	المشاة	الفرسان	المجموع
المنشية	952	80	1032	*	200	..	200
الساحل	1100	120	1220	*	300	..	300
الرقيعات	800	143	943	*	340	50	390
العلاونة	800	143	943	*	340	50	390
الجواري	900	214	1114	*	450	80	530
ورشفانة	1000	500	1500	*	1000	200	1200

"ولئن ظهر على هذا النحو أنّ (8182) من المشاة، و(1580) من الفرسان، ومجموعهم معاً (9762)، صنفٌ من العساكر حاضر للالتحاق بالسلاح من

[258] - **المصدر نفسه**، ورقة 32 ـ ب ، 33 ـ أ ، 34 ـ أ ب ، 35 ـ أ ، 41 ـ ب.

القولوغلية، فإنّه لم يتم حتى الآن إجراءُ تدقيق في مقدار مَنْ سيمكن جمعهم لدى الحاجة"[259].

4 – مطبوعة (معلومات) العثمانية (1315هـ/ 1897م):

مطبوعة عثمانية صدرت في أواخر القرن التاسع عشر، أسبوعية، ويومية، وفي شكل مجلة [مجموعه] وصحيفة، كما أصدرت قسماً عربياً، وقسماً فارسياً، صاحب امتيازها ومديرها ومحرِّرها محمد طاهر، باستانبول[260]. وقد نشرت في سنة (1315هـ/ 1897م) مقالة موجزة عن السمات العسكرية الجليّة لطائفة القولوغلية في هذه المرحلة (الوظيفية) من دلالة المصطلح، وفي السطور التالية مقاربة أولية، وخلاصة وافية لمحتوى المقالة الصحفية.

---

[259] - **المصدر نفسه**، ورقة 7ـ ب / 8 ـ أ.

[260] ـ Hasan Duman, **Istanbul Kutuphaneleri Arap Harfli Sureli Yayinlar Toplu Katalogu (1828 – 1929).**

وغلافه بالعربية: حسن دومان، **الفهرس الموحّد للصحف والمجلات المطبوعة بالحروف العربية في مكتبات إستانبول (1828 ـ 1929)**، تقديم أكمل الدين إحسان اوغلى، استانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 1406/ 1986، ص 229.

وقد كان **محمد كامل** (باش كاتب مجلس إدارة ولاية طرابلس الغرب سابقاً / وصاحب كتاب **غاية الأماني في تفصيل قواعد اللسان العثماني**) آنذاك أيضاً أحد المحررين بهذه المطبوعة العثمانية المتميزة: [محرِّر بجريدة "معلومات" العربية بالآستانة العلية حالاً / سنة 1314هـ]، ويُعَدُّ بالنظر إلى ثقافته العربية من جهةٍ، وعمله بطرابلس من جهةٍ أخرى، من أبرز عناصر التواصل الصحفي / الثقافي بين طرابلس واستانبول خلال تلك الفترة، وهي شخصية تغري حقاً بمزيدٍ من التقصِّي والمتابعة من خلال الأرشيف الوثائقي / والمطبوعات المعاصرة في المدينتين.

القولوغلية وأهالي طرابلس الغرب المخلصون

[قول أوغللرى وطرابلس غرب أهالىء صادقه سى]

"ولاية طرابلس الغرب الجليلة الواقعة بشمال أفريقيا من الأجزاء المتممة للممالك العثمانية، وموقعٌ مهمٌ للتبادل التجاري لبلاد السودان ووسط أفريقيا على البحر الأبيض [المتوسط].

وقد بذلت الحكومة السنية مساعيَ كثيرة جداً خلال السنين الأخيرة، آخذة بعين الاعتبار تأسيس النقاط العسكرية وتمام ترتيباتها اللازمة لتحصين الموقع المذكور وحمايته من كلِّ أنواع الاعتداء [الهجوم]. وتمّ تامين انتظام إداراته على الوجه العالي المطلوب.

ولئن كان أكثر الأهالي الأصليين الذين يتجاوزون مليون ونصف مليون [نسمة] يتعيّشون بالتجارة مع بلاد السودان[261]، فإنّه يوجد بينهم، قرب مدينة طرابلس، سكان خمس نواحٍ يُعرفون بالقولوغلية [قول اوغلى]. وهم من أبناء الترك أباً عن جد، إذ أنّهم ناتجُ زواج صنفٍ من العسكر بالنساء المحليات، ولكونهم جنوداً وشجعاناً، ومكلفين ببعض الوظائف [أو المهام] كالجباية والبريد، فإنّهم معافون من الضريبة [الويركى] بشرط تربية حيوان [لإنجاز أعمالهم].

وقد عُنيت الحكومة السنية بإعدادهم تحت إدارة أحدهم باسم (باش آغا)، منتخبةً أخيراً صنفاً متطوعاً من بينهم، وحصرت همتها في تدريبهم وتربيتهم.

---

261 ـ القصد إلى: تجارة القوافل بين الشمال والجنوب.

ولأنّ هؤلاء القولوغلية من العسكر مع شهرتهم بالشجاعة؛ فقد زادوا أهمية الموقع العسكرية، فضلاً على أهميته الخاصة، وانتظموا كانتظام العساكر السلطانية في التدريبات والحركات والمشية العسكرية، ولأنّ تمام مهمتهم [وظيفتهم] ستحقق مزيداً من أمن الولاية، فقد شرع - بناءً على قرار الولاية المشار إليها - في تدريبات الفرسان، وبناءً على ما ظهر من رغباتٍ [أو حماسٍ وطني] من طرف الأهالي، شرع أيضاً في تدريبات المشاة، وقد ظهر كما ينبغي تعميم الحماس العسكري داخل الولاية، وآمال هذا المقصد الرفيع الذي عُدّ حرزاً أميناً لحفظ النفس بين الأفراد.

ويبلغ قسم الفرسان المشكل من القولوغلية ألفاً ومائتين، وطاقم المشاة ما بين أربعة وخمسة آلاف، ونظراً لأنّ هذا القدر يُعَدُّ صغيراً بالنسبة إلى عموم السكان، فإنّه إذا أخذ الأهالي الأصليون أيضاً للتدريب [تحت السلاح] ستظهر هناك دونَ شكٍّ فرقةٌ عسكرية تامة.

والعسكرية وظيفة فاضلة مؤسسة للحفاظ على الأمور المعتنى بها من الحقوق والمال والنفس وشرف الأمة. ونظراً لأنّ كافة الأهالي المسلمين على وجه الخصوص، مكونة من الإخوان الصادقين المستعدين للتضحية بالنفس أبد الدهر من أجل الدين والدولة، فإنّ تطبيق الحكومة السنية للإجراءات الحكيمة والتنسيقات العسكرية في هذه الأماكن، وحسن توفيقها [ملاءمتها] بين أصول الإدارة العسكرية وأصول الإدارة المدنية أمرٌ ميسور.

حتى أنّه جاء في صحيفة **طرابلس الغرب** الرسمية الواردة أخيراً، أنّ التدابير المهمّة التي اتخذتها الولاية قد ظهر حسن تأثيرها شيئاً فشيئاً، وأنّ الأهالي الذين أتمُّوا تدريباتهم قد سارعوا إلى تقديم الهدايا، كالساعات ونحوها، علامة تقدير ونموذج محبّة خالصة لمعلميهم من الضباط وضباط الصف من العساكر السلطانية، كما يُؤخذ من هذا أيضاً مبلغ رسوخ المقاصد العسكرية.

ومن المعروف أنّ السلطنة العثمانية السنية قد أخذت بعين الاعتبار منذ زمن طويل، المهارة العسكرية [الفروسية] والشجاعة الفطرية لدى عشائر وقبائل العرب والأكراد، وبناءً على الفرمان السلطاني المعظم، فقد تمّ تشكيل العديد من آلايات[262] الفرسان الخفيفة باسم (الحميدية) نسبةً إلى حضرة الخليفة، في كردستان وما حولها وولايتي سورية (دمشق) وحلب الجليلتين، وعلى قدر ربط نظم الآلايات المذكورة وأساس تشكيلاتها وتنسيقاتها بالقواعد السليمة المعتبرة، ظهر إلى الوجود شيئاً فشيئاً جيشٌ مهيبٌ، قويٌّ، منظم.

وتشكيلُ آلايات فرسان الحميدية على هذا الوجه من جملة الموفقيات الجليلة لحضرة السلطان الغازي عبد الحميد [الثاني]......الخ.

---

262 - آلايات: جمع آلاى، وهو قوّة عسكرية مشكلة من أربعة (طوابير) من المشاة، أو خمسة (بلوكات) من الفرسان. ش. سامى، **قاموس تركى**، ص 48 ـ 49. ومنها أيضاً الرتبة العسكرية (ميرآلاى) التي تقابل في العربية برتبة (عميد). **اليوميات الليبية**، ج 2 ص 1169.

وقد يتمُّ قريباً الاقترابُ إلى نسبةٍ معقولةٍ من تشكيلات نوعٍ من الفرسان، قياساً على الآلايات المذكورة، في طرابلس الغرب أيضاً، ويُعَدُّ ذلك من الإجراءات العسكرية الممكنة المنظورة. وأنّ ذلك سيكون سبباً في جلب واقتطاف هذه الأصول الطبيعية من الولاية المشار إليها، من هذه الوجهة أيضاً، دون أي شك"[263].

5 – من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى.

إفادة خاصّة عن قولوغلية فزان (المخازنية):

مؤلفه عبد القادر جامي (1877 - 1958م)، ويُعرَفُ أيضاً بلقب (بايكوت BAYKUT)، وهو ضابط عثماني مخضرم، انفصل عن الجيش برتبة (يوزباشى / نقيب) وانضمّ إلى العمل السياسي، ونفي إلى فزان، وعمل بالإدارة في ولاية طرابلس، وانتخب نائباً عن فزان في مجلس المبعوثان العثماني لمدة دورتين. كما كان من كبار رجال السياسة في حرب الاستقلال، وتولى وزارة الداخلية في حكومة أنقرة، واختير ممثلاً لها في روما، ثم عاد إلى استانبول وكتب في الصحافة[264].

---

[263] - جريدة **معلومات** (اليومية) العدد 73 (15 ربيع الآخر 1315 هـ/ 14 أغسطس 1897م).

[264] - **Buyuk Larousse Sozluk ve Ansiklopedisi** ,Istanbul 1992, c. 3, s. 1418 – 1419.

ويبدو أنّ التعريف الموجز بالمؤلف الذي أدرج في أول الترجمة العربية للكتاب قد جانبه بعض الصواب؛ إذ جُعِلت حياته بين سنتي (1878 ـ 1949) ؟

عنوان كتابه الأصلي (**طرابلس غربدن صحراى كبيره دوغرى**)، صدر باستانبول سنة 1326 (1910م)، ونقله إلى العربية أستاذي المؤرخ الكريم محمد الأسطى (1900 - 1991م) - رحمه الله تعالى - وصدرت الترجمة بطرابلس عن دار المصراتي سنة 1974، في 208 صفحات. وقد غدا بهذه الترجمة أثراً معروفاً متداولاً في المكتبة الليبية. وتستوقفنا في هذا النصّ العثماني الذي قد يبدو لأول وهلةٍ بعيداً عن السياق، تلك الإفادة الطريفة في نهاية العهد العثماني عن قولوغلية فزان؛ وهي صريحة الدلالة على المعنى الوظيفي الصرف للمصطلح العثماني، ولئن كان قولوغلية الشمال خليطاً من (الأصليين / والاسميين) بحكم نشأة المصطلح - على ما تقدّمَ بيانه أعلاه - فإنّه من الجلي هنا أنّ قولوغلية فزان يُذكرون في النصِّ التالي أدناه بالمعنى المغاربي السائد آنذاك لمصطلح (المخازنية)، ولا صلة لهم بالأصل العرقي لمصطلح القولوغلية.

"أكثر هذه القبائل نفوساً قبيلة المقارحة التي يقطن ثلاثة أرباعها الخيام بصورة مستديمةٍ، وهذه القبائل منذ أن دخل إقليم فزان تحت الحكم العثماني الثاني الفعلي صارت من الكول أوغلية وقبلوا الانخراط في الخدمة بناءً على نفير عام، واعتبروا من الجيش الأهلي المعاون الصحرواي. وهم يقولون إنّهم من أصل عربي أصيل جاءوا من الشرق، ويؤيدون ذلك بما تثبته شجرات الأنساب التي لديهم.

إنّ الكول أوغلية الذين كانوا يشكلون القوة الدفاعية عن طرابلس في العهد العثماني الأول، والذين كانوا أعواناً للقرمانليين يستنفرهم يوسف باشا وأسلافه ويعتمدون عليهم في الدفاع، أكثرهم خليط من الأتراك والعرب. وهذا الصنف من الأهالي الذي بقي في القسم الساحلي من ولاية طرابلس بصورةٍ غير منتظمة وفي حالة فوضى ألغي في سنة **1318**، ولكنّ كول أوغلية الشاطئ[265] يختلفون عن كول أوغلية سواحل طرابلس حيث لم يعدوا من هذه الطائفة إلا بعد انضمامهم **للقوّة التأديبية** التي كانت تحت قيادة حسن باشا البلعزي المكلف بالقضاء على زعيم قبيلة أولاد سليمان عبد الجليل [سيف النصر] الذي استولى على فزان واستقلّ بها ونهب أموالها. لذلك اعتبروا من الكول أوغلية .. خاصّون بفزان، وأعفوا من التكاليف الميرية (الضرائب)، لكنّهم من ذلك الوقت لم يقوموا بالخدمات التي تعهّدوا بتقديمها لحكومة فزان ولو مرّة واحدة، وبقوا مهملين. وإنّ التراخي الظاهر في إدارتنا وإتباع المسلك القديم العقيم وهو تجنب القيل والقال - كان السبب لطغيان حفنةٍ من الذين لا أهمية لهم من حيث القوة والمقدرة فصاروا لا يصغون لأوامر الحكومة، حتى إنّهم شرعوا في الاستهزاء والاستخفاف بالدولة وإضعاف نفوذها، كما استعملوا السلاح ضدّ العساكر بكلّ جرأةٍ مرّاتٍ عديدة.

وإنّ واقعة (التبو) التي حدثت سنة **1314** تبيّن ميلهم هذا بكلّ وضوح، لقد أسندت لهؤلاء الكول اوغلية مهمة تأديب قبائل (التبو) الذين كانوا

---

265 - القصد إلى منطقة الشاطيء المعروفة بسنجق فزان (جنوب ليبيا).

يتسلطون على القوافل ويقطعون الطرق، فقاموا بمهاجمتهم في ديارهم واعتدوا على النساء والعجزة ونهبوا المواشي وسبوا الرجال والنساء رقيقاً ورجعوا إلى أوطانهم بهذه الغنائم ! ولاسترداد هذه المنهوبات منهم إلى أهلها اضطرت إدارة فزان أن تجرِّد قوّة ضدّهم في حملةٍ أخرى"[266].

6 - تاريخ طرابلس الغرب - بالتركية العثمانية.

مؤلفه: حسن صافي، الذي قدّم اسمه على الغلاف بالصفة التالية: "مميّز شعبة الحسابات المركزية لمصرف الزراعة". وقد استهلّ المؤلف مقدمته الموجزة بالإشارة إلى أنّ أشياء كثيرة قد كتبت عن طرابلس بسبب الغزو الإيطالي، غير أنّ أيّ أثر لم يُوضع عن أحوالها التاريخية والاجتماعية؛ لذلك أراد أن يستفيد من طول إقامته بطرابلس التي تجاوزت أحد عشر عاماً ما بين تاريخي (3 أيلول 1313 / 31 تموز 1324مالية) أي: [1897 - 1908م]. مؤكداً أنّه قد زار بحكم الوظيفة جميع ملحقات الولاية مراراً، باستثناء لواء فزان وقضاء غدامس[267]، حتى أنّه ذهب إلى أصغر القبائل في قضاءاتٍ كثيرة. وقيّد (خاطراته) خلال تلك الزيارة، وأنّه أتخذ كتاب ابن مصطفى عاشر

---

[266] - عبد القادر جامي (نائب فزان)، **من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى**، ترجمة محمد الأسطى، قدّم له علي مصطفى المصراتي، طرابلس: دار المصراتي للطباعة والنشر والتوزيع، 1974، ص 54 - 55.

[267] - يبدو جلياً أنَه يعني ولاية طرابلس التي لا تشمل سنجق بنغازي؛ إذ كانت متصرفية مستقلة تتبع استانبول رأساً خلال السنوات المذكورة.

أفندي (حفيد شيخ الإسلام الأسبق) الذي ترجم تاريخ ابن غلبون وأضاف إليه معلوماتٍ ذاتية، أساساً لمشاهداته واستطلاعاته[268].

ومن الطريف حقاً أنّ المؤلف يشير في بقية مقدمته أيضاً إلى أنّه اعتمد، في "أحوال طرابلس الغرب (بعد الهجرة)[269]، على ما أخذه واستنسخه من المرحوم أحمد بك كاتب (قصّابخانه) بطرابلس[270]. أمّا قسم ما (قبل الهجرة) فقد جمعه من سالنامة الولاية الرسمية وبعض الآثار الأخرى. وأنّ مقصده من تأليف هذا الكتاب الذي يجمع الوقائع التاريخية والحاضرة للبلاد، والأحوال المعيشية والاجتماعية لأهاليها يتمثل في إحياء خاطراته هناك، وحفظ اسم المرحوم احمد بك وأثره الذي استنسخه من النسيان. مختتماً مقدمته الموجزة بإهداءِ صافي ريع الكتاب كاملاً إلى أيتام وأرامل مجاهدي طرابلس الغرب". وهي العبارة المثبتة على الغلاف أيضاً؛ إذ صدر الكتاب سنة 1328 مالية [1912م] أي في بداية الغزو الإيطالي.

---

268 - يشير المؤلف في هذا السياق إلى أنّ الأثر المذكور (لم يتم ـ وغير مطبوع) كذا ؟ وهذا خلاف الواقع، ويبدو أنّه قد عاد إلى نسخةٍ مخطوطةٍ منه، ومن المعروف أنّ الكتاب قد أتمّه مؤلفه [محمد نهيج الدين ابن مصطفى عاشر] ونشره باستانبول سنة 1284هـ.

269 - يظهرُ هذا المصطلح (قبل الهجرة / وبعد الهجرة) في بعض الأدبيات العثمانية خلال تلك الفترة، وخاصة في السالنامات، وكأنّه بديلٌ عن المصطلح الشائع (قبل الميلاد / وبعد الميلاد).

270 - تبعث هذه الإشارة القيمة إلى مزيدٍ من التقصّي عن السيد أحمد [كاتب السلخانة] وأثره المجهول؟

ولئن اكتفى في هذه المقدمة الموجزة بما ذكر أعلاه من المصادر، فقد أشار فيما يليها إلى بعض المصادر الأجنبية التي عاد إليها. كما نقف في صفحة الغلاف على العنوان الفرعي التالي: (يحتوي على التدقيقات والمتابعات المتعلقة بالأحوال والوقائع التاريخية الجارية حتى تشكيل ولاية طرابلس الغرب). غير أنّ النصّ المطبوع في (84) صفحة ينتهي ببداية العهد العثماني الثاني وقدوم (مصطفى) نجيب باشا، والإشارة المقتضبة إلى غومة المحمودي وعبد الجليل سيف النصر، ولم يكن تشكيل الولاية المذكور في العنوان الفرعي سوى عبارة الختام الخادعة. وواقع الأمر أنّ محتوى الكتاب لم يتم إلى الغاية المشار إليها، إذ تستوقفنا في الصفحة الأخيرة حقاً هذه الإفادة القاطعة: (انتهى القسم الأول)، وهي تدلُّ صراحةً على وجود قسمٍ آخر للكتاب؛ يبدو أنّه لم يُنجز، أو طبع في جزءٍ ثانٍ مستقل.

بعد هذه اللمحة اللازمة عن المؤلف وكتابه في هذا السياق التوثيقي، نصل إلى تلك الحاشية القيّمة عن القولوغلية التي استبق بها التسلسل السردي، وأوردها - لحسن حظنا - في موضع متقدم من كتابه. كما أردفها - اتفاقاً - بصورتين نادرتين (في موضعين عشوائيين) عن التدريبات العسكرية للفرسان / والمشاة من **(آلايات الحميدية)** التي شُكِّلت من القولوغلية الوظيفية، وتنبغي الإشارة أخيراً إلى أنّ المؤلف قد عايش السنوات الأخيرة من امتيازات القولوغلية، كما شهد عن قرب إجراءَ إلغائها في مطلع القرن العشرين، وبذلك يُعَدُّ هذا الأثر العثماني المعاصر لتلك الفترة آخر المصادر

التاريخية التوثيقية لدلالة المرحلة الثالثة (الطرابلسية / الوظيفية) من دلالات مصطلح القولوغلية.

***

[حاشية القولوغلية]:

"يقال لأولاد هؤلاء خطأً: أولاد القره غول.

إلى سنة **1317 - 1318** [مالية][271] كان صنفٌ من الشعب موجوداً باسم القولوغلية. وهؤلاء من الأهالي القاطنين بنواحي العلاونة والمنشية والساحل والرقيعات وورشفانة / العزيزية، وهم مكلفون بنوع من وظيفة (الجاندرمه)، ومعفون من الضرائب [الويركو] والأعشار.

إدارتهم موكولة إلى (باش آغا) المعيّن من طرف الحكومة، وكانوا عادةً حكومة داخل الحكومة. إذ كانت وظائف الشرطة والجاندرمه[272] الرسمية محصورة داخل مدينة طرابلس الغرب الواقعة داخل السور، في حين كانت الشؤون المتعلقة بما يقع خارج السور عائدة إلى آغاوات القولوغلية. والأشخاص المطلوبون من الجهات العدلية يمكن جلبهم بمعرفة (الباش آغاوية)[273]، ولم تكن الشرطة والجاندرمه تستطيع التدخل في الوقائع خارج السور.

---

271 - (1901 ـ 1902م).

272 - آثرت إبقاء هذا المصطلحَ الشائع آنذاك لنوع من الحرس.

273 - رئاسة آغاوات القولوغلية.

وقد ألغيت (باش آغاوية) القولوغلية التي يتجاوز سكانها خمسين أو ستين ألفاً، من طرف حافظ محمد باشا سنة 1317 - 1318 [مالية]، وأُسِّسَ بدلاً منها قضاءُ النواحي الأربعة، وأخيراً قضاءُ العزيزية أيضاً.

وقد تجاسر القولوغلية على الاعتراض على إلغاء امتيازاتهم، والامتناع عمّا أُريدَ تطبيقه من تحرير الأملاك، وتحرير النفوس [إحصاء السكان]، وإجراءات الطابو، ومخالفتها، ورفع السلاح في وجه اللجنة الخارجة للتحرير؛ ولذلك سيقت قوّة عسكرية إلى سوق الجمعة بموجب تذكرة محرّرةٍ إلى المرحوم المشير رجب باشا بهذا الخصوص من طرف المرحوم حافظ باشا: "نظراً لأنّ مسؤولية ذلك عائدة إليه، ينبغي مقابلة ذلك بالمثل من طرف العساكر السلطانية". وفي هذه الأثناء سقط بعض ضحايا الواجب والحرص [من الطرفين] وخمدت الواقعة في يوم، ونُفِيَ من أعيان ناحية الساحل اثنا عشر شخصاً إلى بنغازي. وبعد هذا أصبحت سلطات الحكومة العثمانية نافذة فعلاً داخل المدينة وخارجها، متخذةً إجراءات كلِّ المعاملات بسكينةٍ تامة.

وأفراد القولوغلية هؤلاء الذين يشكلون مركز الولاية وجوارها، وخاصّة قبائل العربان، شجعانٌ، جسورون، ذوو جرأةٍ، وفرسانٌ جيّدون. وقد كانوا في عهد الوالي نامق باشا يؤدُّون هم أيضاً تدريبات الفرسان والمشاة، بضعة أشهر في السنة، باسم آلايات الحميدية"[274].

---

[274] - حسن صافى، **طرابلس غرب تاريخى**، درسعادت: رسملى كتاب مطبعه سى، 1328 [مالية / 1912م] ص 42 - 43.



(تدريبات المشاة)



(تدريبات الفرسان)

(5 – 2)

تقلُّص الدلالة الطرابلسية إلى سابقتها المغاربية

[المرحلة الرابعة]

من الجليّ أيضاً أنّ الدلالة الوظيفية لمصطلح القولوغلية التي استأثرت بها طرابلس دون جارتيها (تونس، والجزائر)، قد كانت مرحلية مؤقتة في واقعها التاريخي، وفي الذاكرة الشعبية على حدٍّ سواء؛ إذ سرعان ما رُفعَت من هذه الذاكرة بعد إلغاء امتيازات القولوغلية التي أظهرت تلك الدلالة بسنوات قلائل. وفي الصفحات التالية من هذه المساهمة نصل إلى المرحلة الرابعة من دلالة المصطلح، وهي لا تتجاوز العودة إلى الدلالة المغاربية العرقية السابقة، من خلال إلغاء امتيازات القولوغلية (الوظيفية) في أواخر العهد العثماني ومطلع القرن العشرين (1902). على أن تليها لمحة وافية عن النسيج الاجتماعي لبقايا القولوغلية (العرقية) في كتاب (**سكان ليبيا**) في مطلع الاحتلال الإيطالي (1917 ، 1922)، وهو أوسع وثيقةٍ عن هذه الشريحة في المكتبة الليبية [في نشرة الكتاب].

- **إلغاء امتيازات القولوغلية.**

- **طرابلس الغرب (مترجم عن التركية - محمد نوري ومحمود ناجي).**

كتابٌ جامعٌ عن طرابلس الغرب أنجزه الاخوان المؤرخان محمد نوري (مقدم مشاة بفرقة طرابلس الغرب العسكرية)، ومحمود ناجي (مبعوث طرابلس في مجلس المبعوثان العثماني). وتنبغي الإشارة أولاً إلى أنّ اسميهما

المذكورين مركّبان، وأنّهما أخوان شقيقان، ولهما أخٌ شقيقٌ مؤرخٌ (باسمه المركّب أيضاً) وهو الأستاذ إسماعيل كمالي الذي التقينا به مراراً في هذه المساهمة البحثية، وأخٌ شقيقٌ رابعٌ اسمه المركّب (مصطفى صبري) "محاسبجي الجبل"[275]، وهم أبناءُ حسن الأرناؤوطي (من التجار)، وقد نشأوا بمدينة الخمس، إي أنّهم يُعَدُّون أيضاً من طائفة القولوغلية في تلك المدينة الناشئة، وسنلتقي بتراجم بعضهم أدناه [في نشرة الكتاب].

صدر الكتاب بالتركية العثمانية في استانبول سنة (1330هـ/ 1912م) عقب الغزو الإيطالي، مُهْدَى إلى الذكرى العزيزة للمرحوم رجب باشا، بعنوان **(طرابلس غرب)**، غير أنّ مخطوطة الكتاب قد أعدّت قبل ذاك بخمسة أعوام، ولكنّ بعض الأسباب حالت دون طبعه[276]. ثم بادر المؤرخان الجليلان

[275] - وقفت على أنّهم (إخوة أشقاء)، من خلال نعي نشرته صحيفة (**الترقي**) عقب وفاة خالهم: (صالح أفندي بيرام، باش كاتب الدائرة البلدية) وتقديم العزاء لأخيه سليمان أفندي، وأبناء أخته المذكورين. العدد 169 (28 ذي الحجة 1328هـ/ 16 كانون أول 1326 مالية): [29 ديسمبر 1910م].

[276] - جاءت في صحيفة **الترقي** (العدد 76 الصادر بتاريخ 16 شعبان 1326 هـ/ 30 أغستوس 1324 مالية) - [1908م] هذه الخلاصة تحت عنوان (**نظرة في تاريخ طرابلس**): "هذه خلاصة من ترجمة الخطبة [المحاضرة] التي ألقاها باللسان التركي حضرة الفاضل محمد نوري أفندي في مكتب عرفان، في الاجتماع الأسبوعي؛ وهي نظرة تاريخية على طرابلس غرب، وهي من ضمن مجموعته التاريخية [كتابه] التي سيصير طبعها - إن شاء الله - في مطبعة الترقي لما فيها من الأهمية بدليل هذه النظرة، قال ...".

الأستاذ عبد السلام أدهم (1902 - 1980) والأستاذ محمد الأسطى (1900 - 1991) إلى تعريبه وصدرت الترجمة ضمن منشورات الجامعة الليبية - كلية الآداب سنة 1970 في 237 صفحة. ومن الغريب اللافت للنظر حقاً أنّ المؤرخين الكريمين - رحمهما الله تعالى - قد جعلا العنوان (**تاريخ طرابلس الغرب**) خلافاً للأصل العثماني من جهةٍ، كما اكتفيا من جهةٍ أخرى باسم المؤلف الثاني محمود ناجي على غلاف الترجمة العربية، خلافاً للأصل أيضاً ؟ وربّما كان اضطلاعُه بنشر الكتاب منفرداً دون أخيه (الذي كان آنذاك في ساحة القتال)، وانفرادُه أيضاً بإضافة البحث الخاص (بالهنترلاند) في آخر الكتاب - كما جاء في مقدمته نفسها - وراءَ هذا اللبس أو السهو الذي يتصل بالضبط الببليوغرافي للترجمة، وحقوق المؤلف[277].

بُنِيَ هذا الكتاب الذي يُعَدُّ آخر / وأوفى الآثار التاريخية العثمانية في المكتبة الليبية، على الفصول التالية:

وفضلاً على ما تشير إليه هذه الإفادة الموجزة القيمة من (النشاط الثقافي الأسبوعي بمكتب العرفان)، وعزم الصحيفة على تبني نشر الكتاب بمطبعتها، يُستشفُ منها أيضاً - على وجه الخصوص - أنّ الأخ الأكبر محمد نوري هو صاحب المبادرة الأولى والجهد الأسبق في تأليف الكتاب الذي تأخر صدوره.

[277] - صدرت للكتاب نفسه ترجمة أخرى بعنوان: (**طرابلس الغرب**)، بقلم أكمل الدين محمد إحسان [وهو: أكمل الدين إحسان أوغلى]. طرابلس: دار مكتبة الفكر، 1973، في 270 صفحة. وعلى غلافها اسما المؤلفين معاً معكوسين في الترتيب: محمد [كذا ـ خلافاً للأصل محمود] ناجي (نائب طرابلس الغرب)، ومحمد نوري (بكباشي مشاة بالفرقة العسكرية بطرابلس).

- **الفصل الأول**: أصول الولاية الجغرافية والزراعية والصناعية والتجارية.
- **الفصل الثاني**: التقسيمات الإدارية للولاية.
- **الفصل الثالث**: الأحوال التاريخية للولاية.

1 - السكان القدامى والأهالي الحاليون.

2 - القرون الأولى: طرابلس الغرب في عهد الفينيقيين والقرطاجيين والرومان.

3 - القرون الوسطى: العرب وطرابلس الغرب.

4 - القرون الأخيرة: الدولة العثمانية وطرابلس الغرب.

- **الفصل الرابع**: الهنترلاند ومسائل الحدود.

***

إفادتان عن القولوغلية في الكتاب:

نقفُ على الإفادة الأولى عن القولوغلية ضمن حديثهما عن السكان القدامى والأهالي الحاليين في مطلع الفصل التاريخي من الكتاب (الفصل الثالث)، وهم البربر والعرب والزنوج والترك واليهود والأوربيون. وتهمُّنا منها في هذا المقام الفقرة التالية:

"**الترك**: إنّ الترك المحليين [كذا] المعروفين بين الأهالي باسم (القول اوغليين) هم أبناءُ وأحفاد الذين وفدوا كجنود لما استولى الشعب العثماني النجيب [كذا] على هذه الأرجاء. ونتج عن تزوُّجهم من نساء وطنياتٍ أبناءٌ

تركٌ، وكان يُوجد ضمن (القول اوغليين) شعوبٌ من أصول شركسية وألبانية[278] ولاز وكردية. القول اوغليون مكافأة على الخدمات السابقة كانوا معفيين من الضرائب، إذ كانوا متميِّزين عن غيرهم من الأهالي بصفتهم شرطة الدولة. ألغي امتيازهم في سنة 1317 (1901م) [كذا] زمن المرحوم حافظ باشا، ولم يبقَ لهم في الوقت الحاضر أيٌّ امتياز عن غيرهم من الأهالي"[279].

وتستوقفنا هنا أيضاً هذه الإشارة الجيِّدة إلى تعدُّد الأصول العرقية لآباء القولوغلية، كما تبدو لدى هذين المؤرخين المعاصرين لنهاية العهد العثماني. ويمكن أن نستشفّ من خلالها أنّ هذا المصطلح قد تجاوز في نهاية المطاف دلالته على (أبناء الجند الإنكشارية) إلى مجمل الأثر العثماني في نسيج السكان.

في حين تطالعنا الإفادة الموجزة الثانية عرضاً عند حديثهما عن (ولاية محمد حافظ باشا) نفسه والتنويه بأعماله في آخر الفصل: "لقد تمّ في عهده تسجيل الأملاك والنفوس، ومعاملات الطابو، وتأسيس إعانات حصص المعارف والمنافع، وافتتاح المصرف الزراعي، وإلغاء إعفاءات الكثير من المتنفذين والموسرين في أنحاء الولاية من دفع الضرائب والأعشار ... وإلغاء امتياز كول اوغليي طرابلس وجوارها والعزيزية وتاجوراء على الأهالي، وإزالة

---

278 - لعلهم يعنون أنفسهم ـ ضمن غيرهم ـ بهذه الإشارة؛ فهم أيضاً أرناؤوط / أو ألبان (كما جاء في لقب الأب أعلاه).

279 - **تاريخ طرابلس الغرب**، ص 118.

دائرة الباشآغوية التي كانت تشكل دولة داخل الدولة، وأمثال ذلك من الإجراءات الجدِّية التي رأى ضرورة تنفيذها"[280].

(3 – 5)

خلاصة جامعة لمصطلح القولوغلية

وخلاصة القول في هذا السياق التوثيقي المقارن تتجلّى في النقاط التالية:

1 – أنّ الدلالة الأولى للمصطلح في نشأته مركزيةٌ / عسكرية، ولا تتضمّن المعنى العرقي (الهجين) الذي أفرزته المرحلة المغربية اللاحقة.

2 – أنّ إيالات المشرق العربي العثمانية لم تعرفْ في تاريخها الحديث والمعاصر (العهد العثماني) طائفة القولوغلية (ظاهرة) اجتماعية بارزة في النسيج الاجتماعي للسكان؛ غير أنّ هذا لا يعني على الإطلاق خلوَ تلك الأقطار العربية المشرقية التي امتزجت بالوجود العثماني من فئة هذا (النسل الهجين) على مستوى كميٍّ أقلّ؛ إذ أنّ ذلك نتيجة طبيعية للاختلاط والمصاهرة بين جنود الانكشارية - وغيرهم من فرق الجيش العثماني الشبيهة / ثم الموظفين المدنيين - بالأهالي في تلك الأقطار.

3 – أنّ الدلالة العرقية المغاربية التي تجاوزت الأفق العسكري المحدود إلى المعنى الاجتماعي الموسّع لشريحة (المولّدين) ظلّت مستمرة في الجزائر وتونس بهذا المعنى نفسه إلى نهاية العهد العثماني والحسيني واقعياً / وفي

[280] - المصدر نفسه، ص 182.

اللغة المحكية والذاكرة الشعبية لدى الأجيال اللاحقة فيهما إلى اليوم، في حين استأثرت طرابلس (وحدها) بظهور تلك الدلالة الوظيفية الخاصة للمصطلح (بمعنى المخازنية / أو قبائل المخزن الموالية للسلطة) منذ مطلع العهد العثماني الثاني إلى إلغاء امتيازات القولوغلية في مطلع القرن العشرين (1902).

4 - يمثل الجزء الثالث من (**اليوميات الليبية**) بداية المرحلة الانتقالية المختلطة لدلالة المصطلح من بقايا القولوغلية الأصليين القدامى، إلى القولوغلية الاسميين / الموظفين من بعض القبائل القريبة المجاورة، وظهور المصطلح المحلي (كوارغلية أولاد عرب).

5 - حُصِرَتْ مهمّة القولوغلية الوظيفية في (**الوثيقة الذاتية**) المبكرة المواكبة (لحركة التحوُّل من الإيالة إلى الولاية) في المنشية والساحل، مركز القولوغلية الأصليين القدامى، مع من انضمّ إليهم: الجواري وورشفانة.

6 - في حين أشارت معطيات (**السالنامات**) في الفترة اللاحقة إلى قبائل أخرى - مع المنشية والساحل - وهي: المرابطين والرقيعات والجواري والعلاونة.

7 - يُستشفُّ من مجمل المصادر في هذه المرحلة أنّ الدلالة الوظيفية للمصطلح لم تتجاوز تلك الجهات والقبائل القريبة من طرابلس غالباً، ولم تُعرف هذه الظاهرة في المناطق الشرقية من ليبيا، لانفصال بنغازي مراراً خلال تلك الفترة ولاية / أو متصرفية مستقلة.

8 - يبدو جلياً أنّ الوضعية المتميزة لطائفة القولوغلية خلال العهد القرمانلي، مع احتفاظهم ببعض المزايا في مطلع العهد العثماني الثاني، قد دفعت الذهنية الشعبية إلى إضافة هذه الدلالة المحلية الموسّعة للمصطلح العثماني؛ حتى غدا في اللهجة مقابلاً ضمنياً / أو بديلاً صريحاً لمصطلح **(المخازنية)** المعروف المتداول جدّاً في أدبيات التاريخ السياسي / الاجتماعي في بقية أقطار المغرب العربي[281].

9 - في حين ظلّ مصطلح (المخازنية) نفسه مقصور الدلالة في طرابلس، خلال العهد القرمانلي ومطلع العهد العثماني الثاني، على بعض الأعيان البارزين من كبار الموظفين ورجال الدولة، وهي الدلالة التي ترصدها اليوميات الليبية بجميع أجزائها.

---

281 - يُطلق هذا المصطلح على **(قبائل المخزن)** التي كانت مؤسسة شبه عسكرية مجنّدة في خدمة الدولة، وهو من أبرز الأمثلة على **(وحدة المصطلحات التاريخية في بلاد المغرب العربي)**.
لمزيدٍ من التحليل والتفاصيل، انظر - على سبيل المثال:

- د. فتحي المرزوقي، "المخزن ومخزنة القبائل التونسية من أوائل العهد الحفصي إلى بدايات الحكم العثماني 1230 ـ 1686"، **المجلة التاريخية المغربية** (تونس)، العدد 79 ـ 80 (ماي 1995) ص 617 ـ 631.

- د. ناصر الدين سعيدوني، "وضعية عشائر المخزن الاجتماعية والآثار التي ترتبت عليها"، **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 7 - 7 (يناير 1976).

والمخزن هو السلطة في الاصطلاح المغاربي، انظر أيضاً: الهادي الهروي، **القبيلة، الإقطاع والمخزن**: **مقاربة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث (1844 ـ 1934)**، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 2005، (330 ص)

10 - يبدو أنّ مصطلح المخازنية كان معروفاً مستخدماً بدلالته المغربية الموسّعة في عهد (أسرة أولاد محمد) التي استقلت بحكم فزان؛ إذ نقفُ في كتاب (**سكان ليبيا**) على الإشارة الدّالة التالية في هذا السياق التوثيقي المقارن، عند حديثه عن بعض اللحمات بفزان: "... فهي من قدماء البربر في المنطقة **ويعرفون باسم (المخازنية)**؛ لخدمتهم العسكرية الحكومية **(المخزن)**، وهي **خدمة شبيهة بخدمة القولوغلية قديماً للحكومة**"[282]. ويُفسّرُ انفراد فزان بهذه الدلالة، بقوة الأثر المغربي المباشر على تلك الجهات، خاصّة وأنّ الأسرة الحاكمة هناك من أصول مغربية.

11 - ينبغي التذكير أخيراً بأنّ:

(أ) - المعنى المغاربي الذي اتسع للدلالة على تلك الشريحة الاجتماعية الواسعة من (المولدين / النسل الهجين).

(**ب**) - والمعنى الوظيفي الطرابلسي المحلي الذي أُطلق على (المخازنية أي القبائل الموالية / أو العاملة في خدمة السلطة).

كلاهما: دلالتان مزيدتان (بالأطراف المغربية) في اللغة العربية، على (الدلالة المركزية) الأولى لمصطلح القولوغلية في اللغة التركية، وهذا يذكِّرنا - في المقابل - بتلك الملاحظة اللغوية التي خرج بها الدكتور حسين مجيب

---

[282] - هنريكو دي أغسطيني، **سكان ليبيا**، ج 1 ص 565.

المصري (أستاذ اللغات الشرقية: الأردية - التركية - الفارسية) عن تلك الألفاظ العربية التي اكتسبت في هذه اللغات الشرقية أيضاً معاني جديدة[283].

(4 – 5)

الدراسات المعاصرة والدلالة الوظيفية الطرابلسية لمصطلح القولوغلية

بعد تقديم ما ذُكر أعلاه من المصادر التاريخية الموثقة لدلالة المصطلح الطرابلسية الخاصّة، طيلة العهد العثماني الثاني في فترتي الإيالة / والولاية، مع إدراك المصدر الأخير أيضاً لقرار إلغائها، ينبغي في هذا السياق أخيراً أن أشير بإيجاز أيضاً إلى بعض الدراسات المعاصرة التي أنجزت فيما بعد في ظروفٍ وآونةٍ مختلفةٍ، وأشارت - على وجه الخصوص - إلى تلك المرحلة الطرابلسية الخاصّة من دلالة المصطلح.

1 – سكان طرابلس الغرب.

يُعَدُّ المؤرخ الليبي العثماني المخضرم إسماعيل كمالي (1883 - 1936م) في طليعة الدارسين العارفين بتاريخ البلاد، وأبرز مساعدي دي أغسطيني

283 – د. حسين نجيب المصري، **أثر المعجم العربي في لغات الشعوب الإسلامية الأردية ـ التركية ـ الفارسية**، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1992، ص 22: "فكان حرياً به أن يكون ظاهرة جديدة في تاريخ الأدب الأردي، أفضت إلى وجودِ حقيقةٍ لغويةٍ خاصّةٍ بالأردية، وعامة بالنسبة للفارسية والتركية على ما بيّناه في السطور السالفة من كتابنا هذا، ألا وهو أنّ في تلك اللغات ألفاظاً عربية لها المعلوم من معناها، وألفاظاً تحتمل معنى أصلياً ومعنى جديداً عليه، وأخرى تحمل معنى مخالفاً للأصل العربي".

على إنجاز ذلك الكتاب المعروف (**سكان ليبيا**) الذي سيأتي الحديث عنه مفصّلاً أدناه (في نشرة الكتاب)، وقد سبق لإسماعيل كمالي إنجاز عملٍ موجزٍ بعنوان (**سكان طرابلس الغرب**) صدر بالإيطالية أيضاً سنة (1916م)[284]. وبُنيَ هذا الكتيِّبُ السكاني المبكر على الأقسام التالية: "**أولاً**: البربر، **ثانياً**: العرب، **ثالثاً**: نبذة عن الأشراف والمرابطين والكولوغلية والزنوج واليهود بطرابلس الغرب".

وقد وردت فيه إفادتان عن القولوغلية؛ جاءت أولاهما استطراداً خلال حديثه عن (العرب تحت الحكم التركي)، وهي إشارةٌ إلى المعنى الوظيفي للمصطلح بإعفاء القبائل [العربية] التالية من الضرائب مقابل تقديم بعض الخدمات كقبائل القولوغلية وهم: عرب الشاطئ والمحاميد والنوايل، كما طبق نفس الأسلوب مع ورشفانة والرقيعات والعلاونة الذين ينتمي أغلبهم لفرع الجواري. مشيراً في ختامها إلى أنّ: "حافظ باشا قد ألغى سنة 1902 الامتيازات الممنوحة للقولوغلية والقبائل العربية والقبائل المرابطة، وأخضع الجميع لدفع الضرائب التي لا يدفعها حتى ذلك التاريخ إلا البربر خاصة"[285].

في حين جاءت الإفادة الأخرى ضمن تلك (النبذة) التي تشكِّل القسم الأخير، تفسيراً للمصطلح بالمعني التاريخي العرقي الأسبق: "الكولوغلية: من

---

284 - إسماعيل كمالي، **سكان طرابلس الغرب**، تعريب وتعليق حسن الهادي بن يونس، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية [1997] 108 ص.

285 - **المصدر نفسه**، ص 42.

التركية من قول اوغلى، هم المنحدرون من اختلاط الانكشاريين بالبربر الخاضعين للحكم العثماني وبالعبيد البيض (المماليك) المسيحيين الذين أسرهم فرسان البحر الطرابلسيين". مع الإشارة إلى مجمل أعدادهم (45000 نسمة)، والمواضع التي استقروا بها[286].

2 – وثائق عن نهاية العهد القرمانلي.

ولهذا المؤرخ الحصيف نفسه بحثٌ مطوّلٌ بعنوان (**وثائق عن نهاية العهد القرمانلي**)، نشره بالإيطالية أيضاً، في (**مجلة المستعمرات الإيطالية**) سنة 1930، ثم نقله الأستاذ محمد مصطفى بازامة وعلق عليه وجعل منه كتاباً سنة (1965) كما تقدّم في التعريف به في مدخل هذه الدراسة أعلاه. وقد أجمل المؤرخ فيه ضبط المصطلح بالحاشية المحكمة التالية[287]:

* "القولوغلية أو الكراغلة، كما عُرفوا فيما بعد، كانوا في الأصل من الرقيق الأوربي (العلج)، أو من رعايا العثمانيين النصارى (وهؤلاء الأخيرين هم في معظمهم من إغريق جزر بحر إيجه) الذين اعتنقوا الإسلام، وتزوّجوا من النساء الوطنيات المسلمات.

---

[286] - **المصدر نفسه**، ص 60.

[287] - جاءت الحاشية في الأصل متصلة الأسطر، غير أنني آثرتُ هنا تجزئة فقراتها (بنجمات منفصلة)؛ حرصاً على مزيدٍ من الوضوح، وتمييزاً لدلالاتها المختلفة في السياق.

* وقد كان القولوغلية فيما مضى يكوّنون طبقة الجند في الولاية، كما كانوا حتى في بداية العهد القرمانلي (1711) منفصلين طبقياً عن جند الإنكشارية الذين هم في معظمهم من أصل تركي[288].

* أمّا تحت الحكم القرمانلي (1711 - 1835م) فقد أطلق اسم القولوغلية على جميع الذين انخرطوا في سلك الجندية سواءً أكانوا قول اغلية أو أتراكاً أو من المواطنين الطرابلسيين[289].

* وتحت الحكم العثماني المباشر (1835 - 1911م) امتدّ هذا الاسم حتى شمل بعض بيوت القبائل العربية التي جُنِّدَ أفرادُها كقبائل الجواري (الرقيعات، العلاونة، الختنة، وغيرهم)، وقبائل ورشفانة في سنة 1866.

---

[288] - تذكِّرُنا هذه الإشارة بالجفوة والتنافس اللذين كانا غالبين على الصلات بين الآباء الانكشارية / وأبنائهم القولوغلية، وقد تقدّم إبراز ذلك في الحديث عن دلالة المصطلح في الجزائر وتونس.

[289] - من المؤسف حقاً أنّ المؤرخ لم يعط مصادره في نهاية هذه الحاشية. ولذلك لا نعلم على ما استند في هذه الإفادة خاصّة من حاشيته القيِّمة. وواقع الأمر انّنا لا نجد في الجزأين المنشورين من (**اليوميات الليبية**)، وهي أغنى المصادر عن تلك الفترة التحولية لدلالة المصطلح، ما يشير إلى ظهور المعنى الوظيفي له خلال العهد القرمانلي، وإنّما ظهر بها ذلك المصطلح المعبّر (**الكوارغلية أولاد العرب**) في الجزء الثالث، في مطلع العهد العثماني الثاني كما تقدّم بيانه أعلاه.

وقد آثرتُ أخيراً العودة أيضاً إلى المواضع التي ورد فيها ذكر القولوغلية في هذا الكتاب نفسه (**وثائق عن نهاية العهد القرمانلي**)، فلم أجد بينها موضعاً تستفادُ منه هذه الدلالة الوظيفية للمصطلح، وإنّما جاءت الإشارات بها إليهم بالمعنى العرقي التاريخي الأسبق في كل المواضع: (ص25، 28، 43، 49، 50، 51، 63، 64، 69، 70، 83، 84، 88، 89، 92، 93، 94، 95، 100، 105، 107، 108، 111، 112، 129).

والمحاميد (أولاد سعيد بن صولا، السباعة، أولاد شبل، الحوامد، أولاد سلطان) في سنة 1880، وقبائل الشاطئ في سنة 1887"[290].

وباستثناء ما ورد في هذه الحاشية عن ظهور المعنى الوظيفي لمصطلح القولوغلية في العهد القرمانلي، وهو ما تمّ التعليق عليه أعلاه، يبدو جليّاً من خلال مجمل الإفادات المختلفة الواردة في الكتابين معاً، أنّ المؤرخ إسماعيل كمالي قد ميّز - في واقع الأمر - معنى المصطلح في كلِّ مرحلةٍ، منّبهاً إلى تطور الدلالة، ولم يجعل القولوغلية أو الكراغلة (قبائل عربية) في أصولها كما فعل بعض الباحثين الآخرين الذين سنلتقي بأعمالهم أدناه.

3 - الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية.

مؤلفه عزيز سامح إلتر (1877 - 1948) وهو ضابط عثماني مخضرم[291]، صدر كتابه بالتركية الحديثة في مجلدين (استانبول 1936 - 1937م)، شاملاً للإيالات المغربية الثلاثة (الجزائر وتونس وطرابلس). وقد بادر المؤرخ

---

[290] - إسماعيل كمالي، **وثائق عن نهاية العهد القرمانلي**، ص 25 ـ 26.

[291] - استهلّ المؤرخ عبد السلام أدهم الذي نقل قسماً كبيراً من كتابه إلى العربية عمله بترجمة المؤلف القصيرة (المحررة بقلمه)، ويؤخذ منها: أنّه ولد في كورتشاي سنة (1293هـ/ 1877م)، وتخرج بدرجة يوزباشي أركان حرب سنة (1317هـ/ 1901م)، وهو متخصص في الشؤون العسكرية وأعمال السكك الحديدية، وشارك مع بضعة زملاء من ضباط أركان الحرب في مد خط الحجاز، ويجيد التركية والفرنسية والألمانية والروسية، وانتخب مراراً نائباً في مجلس الأمة...الخ، وتوفي في (2 - 12 - 1948). ص 5 - 6.

الراحل الأستاذ عبد السلام أدهم (1902 - 1980م) - رحمه الله تعالى - إلى نقل القسمين المتعلقين بطرابلس وتونس "لارتباط تاريخيهما في كثير من الحوادث" كما جاء في مقدمته[292]. ثمّ أتمّ الدكتور محمود علي عامر ترجمة القسم الباقي المتعلق بالجزائر[293].

قدّم المؤلف إفادة مجملة عن القولوغلية في نهاية قسم طرابلس، مستفيداً من بعض المصادر العثمانية التي تقدّمت الإشارة إليها أعلاه؛ ومع أنّه لم يصرِّح بمصدره في هذا السياق فمن الجلي أنّه ينقل هذه النبذة عن حسن صافي في كتابه (**تاريخ طرابلس الغرب**) الذي تقدّم التعريف به أعلاه. غير أنّ عزيز سامح (إلتر) يخلط - في واقع الأمر - بين دلالتي القولوغلية بمعنييها المتقدمين (العرقي / والوظيفي)، تبعاً لمصدره المذكور الذي كان خاتمة الأعمال العثمانية المعبِّرة عن تلك المرحلة من الدلالة الطرابلسية الخاصة للمصطلح.

كما يعطي الأستاذ (المعرِّب) عبد السلام أدهم الحاشية التالية تعليقاً على أول فقرة من تلك النبذة المجملة: "إنّ غالبية القول أوغليين الساحقة من العرب، ولا يمتُّون للعنصر التركي بصلة الدم"[294]. ولا يخفى في هذا المقام أنّه

---

[292] - عزيز سامح، **الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية**، ترجمة عبد السلام أدهم، بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، 1969، 446 ص.

[293] - عزيز سامح إلتر، **الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية**، ترجمة د. محمود علي عامر، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1989، 710 ص.

[294] - **المصدر نفسه** (من ترجمة الأستاذ عبد السلام أدهم) ص 227 - 229.

يخلط أيضاً بين دلالتي المصطلح العثماني دون التمييز الضروري بينهما. خاصة وأنّه كان من أبرز المؤرخين الليبيين المخضرمين / المعاصرين، العارفين بتلك الحقبة من تاريخ ليبيا الحديث - رحمه الله تعالى وجزاه خير الجزاء عن جهوده القيّمة.

4 - ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي أو طرابلس الغرب في آخر العهد العثماني الثاني (1881 - 1911م).

أطروحة الدكتوراه المعروفة للمؤرخ الفلسطيني الراحل الدكتور أحمد صدقي الدجاني - رحمه الله تعالى - الذي كان من أبرز المؤرخين العرب المعاصرين المعنيين بتاريخ ليبيا الحديث. وقد اكتفى الدكتور الدجاني بإفادةٍ موجزة عن القولوغلية ضمن حديثه عن السكان في الفصل الخامس من كتابه (الأوضاع الاجتماعية) مستفيداً، على وجه الخصوص، من الأستاذ المؤرخ عبد السلام أدهم الذي كان لصيقاً به خلال إعداد أطروحته، ومن عمله (المعرّب) لعزيز سامح المذكور أعلاه. ويبدو التركيز جليّاً على الدلالة الوظيفية للمصطلح الغالبة على تلك الفترة موضوع الدراسة، دون التفريق اللازم بين دلالتي المصطلح في هذه الإفادة الموجزة المجملة التي كان ينبغي - فيما يبدو - أن تكون أكثر سعة وتأصيلاً وضبطاً؛ لتعلُّقها الملحوظ بالمدى

الزمني / والبعد الموضوعي لهذه الأطروحة المبكرة عن تاريخ ليبيا في العهد العثماني الثاني[295].

5 – الإعفاءات الضريبية في ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي وظهور الأعيان (1835 – 1902م).

بحثٌ مطوّلٌ للدكتور عقيل البربار، (أستاذ التاريخ الحديث بالجامعات الليبية)[296]. وقد كان الحديث عن القولوغلية في مقدمة الشرائح التي تمتّعت بالإعفاء المشار إليه، بعد مشايخ القبائل والعشائر الخ. ويُبْدي الدكتور البربار في هذا البحث رأياً جديداً مغايراً حول طائفة القولوغلية، يقترب فيه جدّاً من رؤية الأستاذ محمد مصطفى بازامة التي تقدّم بسطها في مدخل هذه المساهمة أعلاه. مشيراً منذ البداية، وفي مواضع لاحقةٍ، إلى أنّ المعنى العرقي الشائع لمصطلح القولوغلية:

"..غيرُ صحيحٍ، وأنّ الكراغلة مصطلحٌ يُقصَدُ به العسكر المحليين، مهمتهم مساندة الدولة في جمع الضرائب وفي فضِّ المنازعات القبلية مقابل الحصول على الإعفاء من الضرائب، أي أنّ المصطلح يشير إلى مهنةٍ، وليس إلى فئةٍ عرقية".

---

[295] – د. أحمد صدقي الدجاني، **ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي أو طرابلس الغرب في أواخر العهد العثماني الثاني (1882 – 1911)** القاهرة: المطبعة الفنية الحديثة [1971] ص 223 - 224.

[296] – نشر أولاً في **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، العدد السابع والثامن (أكتوبر 1993) ص 63 - 105.

ثمّ ضمن كتابه: **دراسات....**

و"أنّ الصفة كراغلة كانت دائماً [كذا] تعني الانخراط في خدمة الدولة مقابل امتيازات".

و"أنّ المصادر التي تشير إلى الكراغلة على أنّها عرقٌ هي مصادر ثانوية [كذا ؟] لم تقدم دليلاً على ذلك ...".

و"أنّ الكراغلة أفرادٌ من قبائل عربية ليبية تطوّعوا في الصراع الإسلامي الصليبي (بقيادة الدولة العثمانية وإسبانيا) خلال الفترة 1492 - 1625، وهم غير العناصر التركية أو التركية الأصل التي أشرنا إليها في بداية البحث، رغم أنّ تلك العناصر ضُمِّنَت في قبائل الكراغلة [كذا] بعد التنظيم الإداري في سنة 1864".

و"من هنا عاد المتطوِّعون إلى البلاد وهم جنودٌ ضمن مؤسّسة الانكشارية، وإن لم يكونوا في الأصل وفي الحقيقة انكشاريين، وظلّوا في خدمة الدولة يساعدونها في جمع الضرائب وصاروا العسكر المحليين...".

ومن الجليّ في هذا المقام أنّ رأي الدكتور البربار منصبٌّ رأساً على الدلالة الوظيفية لمصطلح القولوغلية التي كانت - دون شكٍّ - بديلاً محلياً لمصطلح (المخازنية) في بقية أقطار المغرب العربي، وهو ما تمّ عرضُه وتوثيقه ضمن المرحلة الثالثة الطرابلسية الخاصة استناداً إلى عددٍ من المصادر، وآية ذلك أنّ الوثائق التي عاد إليها الدكتور البربار في هذا السياق من بحثه المطوّل تعود إلى تلك المرحلة نفسها من أواخر العهد العثماني؛ كما يبدو من

خلال الحواشي التوثيقية، وهي بالضرورة لا تتجاوز تلك الدلالة المرحلية المذكورة، ولا تصدق على هذا المصطلح العثماني في كلِّ مراحله.

6 - نسلٌ عثماني في شمالي أفريقيا: القولوغلية.

بحث مطوّلٌ للمؤرخ التركي الدكتور أحمد قواص، وهو أحد الأساتذة الدارسين العاملين (**بمركز البحوث الإسلامية**) التابع لوقف الديانة التركي، الذي يصدر (**الموسوعة الإسلامية**) في استانبول، نشر في مجلة (**الدراسات العثمانية**) سنة (2001)[297]. ويُعنَى البحث بالدراسة العامّة لأوضاع هذه الطائفة أو الشريحة الاجتماعية الواسعة في الإيالات الثلاثة: الجزائر وتونس وطرابلس. وفضلاً على المدخل الذي استهلّ به البحث دون عنوان (ص 31 - 38)، جاء جلُّه موزّعاً على العناوين الفرعية التالية التي تدلُّ على محتواه:

- عدد القولوغلية (38 - 40).

---

297 - Ahmet Kavas, "Kuzey Afrika'da Bir Osmanli Nesli: Kulogullari**", Osmanli Arastirmalari / the Journal of Ottoman Studies**, XXI (Istanbul 2001), s.31-68.

عرّفني به أستاذي الفاضل المؤرخ الجليل الدكتور محمد إبشرلي في المركز المذكور في صيف سنة (2003)، وقد أهداني آنذاك مشكوراً فصلة مستلة من هذا البحث. ويُعنى الباحث الكريم، على وجه الخصوص، بتاريخ القارة الأفريقية وصلاتها بالدولة العثمانية، وقد جاء هذا البحث وغيره من المساهمات المماثلة التي وقفتُ على بعضها لديه أيضاً، ضمن اهتماماته بالفضاء المذكور. كما "علمتُ منه خلال ذاك الحديث بمكتبه، أنّه يعمل على إعداد ببليوغرافية شاملة لما يتعلق بأفريقيا في اللغة التركية، وقد بلغ حجم العمل - آنذاك - 224 صفحة تضمُّ نحو (2000) ألفي عنوان بين كتاب ومقالة، تأليفاً وترجمة عن اللغات الأجنبية".

- الأماكن التي عاشوا بها (40 - 44).
- الخصائص المميِّزة للقولوغلية عن الأهالي المحليين الآخرين (44 - 46).
- وظائفهم ومسؤولياتهم في الإيالات (46 - 54).
- القولوغلية المشاهير[الأعلام] (54 - 58).
- تدريباتهم [العسكرية] (58 - 59).
- امتيازاتهم (60 - 61).
- الحوادث التي تدخلوا فيها وفقدان امتيازاتهم (61 - 68).

وهكذا نقفُ من خلال هذه العناوين على السياق الموضوعي للبحث الذي جاء مدمجاً للنقاط المذكورة في مزيجٍ جامعٍ بين الإيالات الثلاثة، مستفيداً من شتّى المصادر العثمانية والتركية من الوثائق والمخطوطات والمطبوعات، وبعض الدراسات الغربية والمغاربية. وربما حظيت طرابلس بمزيدٍ من الإشارات بحكم استمرار الوجود العثماني المباشر فترة أطول من الإيالتين الأخريين، ومن هنا جاء الحديث عن تلك المرحلة الطرابلسية الوظيفية الخاصة من دلالة المصطلح متداخلاً كذلك مع الدلالة المغاربية السابقة عليها دون فصل يُذكر. وفي هذا السياق يشير الباحث خلال حديثه عن عدد القولوغلية، إلى أنّ أفضل وحدةٍ إداريةٍ شُكِّلت خصوصاً لهم في الإيالات المغاربية (غرب أوجاقلرى) تتمثل في (باش آغاوية القولوغلية) التي أُسِّست

في بنية ولاية طرابلس في أواخر العهد العثماني. وأنّنا لا نجد ما يشبه ذلك في تونس والجزائر[298].

ومع تعدد المصادر العثمانية والتركية التي عاد إليها الباحث بخصوص طرابلس، لم تفته العودة أيضاً إلى كتاب (**وثائق تاريخ ليبيا الحديث: الوثائق العثمانية 1881 - 1911**) التي جمعها وعرّبها الأستاذ عبد السلام أدهم، وأعدّها للنشر الدكتور أحمد صدقي الدجاني، والتنويه بها والإشارة إلى الوثائق المتعلقة بالقولوغلية منها (14، 34، 96)[299].

غير أنّني استوقفني في هذا السياق التوثيقي أنّ الباحث الفاضل قد خلط (سهواً غالباً) في بعض الحواشي بين سالنامات ولاية طرابلس / وسالنامات الدولة العثمانية، فيما استقاه منهما - على وجه الخصوص - من المعطيات الإدارية، وآية ذلك الظاهرة للعيان أنّ بعض الأعداد المشار إليها باسم (سالنامة طرابلس الغرب) صادرة في السنوات التالية بعد توقف سالنامة الولاية (1286 - 1312هـ) عن الصدور، وواقع الأمر أنّها من سالنامات الدولة المركزية، ومنها أعداد السنوات التالية: (1314، 1315، 1317، 1318، 1319، 1320، 1321، 1322، 1323، 1324، 1326)، كما أنّ الإشارات إلى صفحاتها نحو (544، 616، 762 الخ)[300] تلفت النظر أيضاً؛ إذ أنّه حجمٌ

---

298 - **المصدر نفسه**، ص 39.

299 - **المصدر نفسه**، ص 53. والكتاب من منشورات جامعة بنغازي، 1974.

300 - **المصدر نفسه**، ص 41 ـ 42.

كبيرٌ لم تبلغه سالنامة الولاية في أيّ عددٍ منها قط؛ وأكبر وآخر أعدادها لم يتجاوز (216) صفحة.

7 – دائرة المعارف الإسلامية (باللغة التركية – الإصدار الجديد).

لئن اكتفى الإصدار الأول لدائرة المعارف الإسلامية في (اللغة التركية) بمادةٍ واحدةٍ عن المصطلح في دلالته المركزية كما تقدّم، فقد خُصِّصت له مادّتان منفصلتان في هذا الإصدار الجديد، أولاهما عن الدلالة المركزية أيضاً أعدّها الدكتور عبد القادر أوزجان، وقد تقدّمت الإشارة إليها في سياقها الموضوعي أعلاه، والأخرى أعدّها الدكتور أحمد قواص نفسُه عن الدلالة المغاربية للمصطلح التي يتصل بها العنوان الفرعي التوضيحي التالي: "قول اوغلى: الاسم المعطى للمولودين من زواج الأتراك من السكان المحليين في شمال أفريقيا"، وهي موجزة ملخصة غالباً عن بحثه المطوّل المذكور[301].

وقد خُصّت طرابلس في هذه المادّة الموجزة بعدّة إشاراتٍ مفيدة، ومنها – على سبيل المثال - أنّ قائمقامية القولوغلية المؤسّسة في سنة (1878) مرتبطة بولاية طرابلس، قد استمرت إلى أن تمّ إلغاؤها من طرف الوالي محمد حافظ باشا سنة (1903 - كذا). وكان يُوجَدُ في مركز هذا القضاء بعض الموظفين مثل: باش آغا، النائب، المفتي، أمين الصندوق، والكاتب. غير أنّ

---

301 - Turkiye Diyanet Vakfi, **Islam Ansiklopedisi** , s. 359 – 360. c.26 (Ankara 2002)

الدلالة الوظيفية (الطرابلسية) الخاصّة للمصطلح جاءت مدمجة في الدلالة المغاربية العرقية العامّة، ولم تُميّزْ على نحوٍ جلي.

(مادّتان عن القولوغلية في الإصدار الجديد لدائرة المعارف الإسلامية باللغة التركية)

KULOĞLU

Osmanlı Devleti'nde başta yeniçeriler olmak üzere kapıkulu ocakları mensuplarının asker olarak görev yapan oğulları.

Genellikle kapıkulu ocaklarına mensup bulunanların çocukları için kullanılan bu tabir, Osmanlı askerî terminolojisinde resmî bir sıfat alarak belirli statüyü niteleyen anlam kazanmıştır. Muvazzaf askerlik dolayısıyla evlenme yasağı getirilmiş olan yeniçerilerden yaşlı olanları ve emektar ocak çorbacıları Yavuz Sultan Selim döneminde (1512-1520) evlenme izni almış, zamanla taşrada görev yapanların ve genç yeniçerilerin de evlenmesiyle bunların çocuklarının durumu devleti ilgilendiren bir konu haline gelmiştir. Özellikle babalarının ölümünden sonra bu çocukları himaye etmeye yönelik tedbirler alınmaya başlanmıştır. Belli bir yaşa kadar sekbanlar fırınında çalıştırılan yetimlere üç ayda bir ikişer buçuk kile un veya bunun karşılığı verilmiştir. Yine üç ayda bir hazinece "âdet-i nân-horân" adıyla 15'er akçe verilmesi kanun haline getirilmiş (Ayn Ali, s. 88) ve bunlar için "defter-i nân-hor" adıyla kayıtlar tutulmuştur. "Fodula-horân" da denilen kuloğulları maaşlarını babalarının mensup olduğu orta veya bölüklerden alırlardı.

(لوحة 1)

(بداية مادة القولوغلية – عن الدلالة المركزية)

بقلم د. عبد القادر أوزجان



KULOĞLU

Kuzey Afrika'da Türkler'le yerli halkın evliliğinden doğanlara verilen ad.

Osmanlı askerî teşkilâtında genellikle "yeniçeri, kapıkulu askerlerinin oğulları" anlamına gelen **kuloğlu** tabiri Kuzey Afrika'da Garp ocakları denilen Trablusgarp, Tunus ve Cezayir'de yerleşen Türkler'in Arap, Berberî, Endülüs asıllı müslüman kadınlarla evliliklerinden doğan çocukları için de kullanılmıştır. Kuloğlu sadece buradaki kapıkulu çocuklarını değil, aynı zamanda Yavuz Sultan Selim döneminden (1512-1520) itibaren XIX. yüzyılın ikinci yarısına kadar askerlik ve Akdeniz'de denizcilik yapmak üzere Batı Anadolu şehirlerinden ve İstanbul'dan getirilen Türk gençlerinin soylarını da ifade etmektedir. Batı kaynaklarında "yeni Türk" veya "ikinci derecede Türk" mânasında kullanılan kelime **kuroglu**, **kourouglis**, **coulouglis**, **culuglis** ve **kulughlis** gibi farklı şekillerde yazılmaktadır. Kuloğulları imtiyazlı birer sınıf teşkil ederek kendilerine mahsus bir sosyal hayat oluşturmuş ve Kuzey Afrika tarihinde önemli bir yere sahip olmuşlardır.

(لوحة 2)

(بداية مادة القولوغلية – عن الدلالة المغاربية)

بقلم د. أحمد قواص

8 - القبيلة والإسلام والدولة.

عنوان كتاب للدكتور فرج عبد العزيز نجم، الباحث الليبي المقيم في لندن. صدر بالقاهرة سنة (2005م) في (327) صفحة، وعلى غلافه أيضاً العنوان الفرعي المطوّل التالي: "**دراسة تاريخية تحليلية تفصيلية للجذور القبلية للمجتمع الليبي وأطواره في ظلِّ الدولة منذ الفتح الإسلامي حتى بعد الحقبة القرمانلية في القرن التاسع عشر**".

يضمُّ الكتاب بعد المقدمة والتمهيد سبعة أبواب وخاتمة، ويهمُّنا منها الباب الرابع عن الكراغلة (ص 118 - 141) الذي يشتمل على الفصول القصيرة التالية:

1 - الكراغلة من الانكشارية العثمانية إلى القبيلة العربية.

2 - ظاهرة التكرغل [كذا] وتركيبة الكراغلة.

3 - الكراغلة وأصولهم الليبية.

4 - الدولة القرمانلية الكرغلية.

وتستوقفنا منذ البداية هذه البنية المصدرية الجديدة المشتقة من الصيغة العربية الشعبية الشائعة للمصطلح (التكرغل / من الكراغلة)، وفي أول الفصل الثاني الذي يحمل هذا العنوان نفسه (ظاهرة التكرغل وتركيبة الكراغلة) آثر الباحث شرح المعنى التاريخي العرقي لمصطلح القولوغلية، ثم رأى في آخره: "أنّ من الأفضل تقسيم أصول الكراغلة إلى ثلاث مجموعاتٍ مهمّة:

1 - الأتراك وهم من أرومةٍ تركية قحّةٍ غير مشوبة عن طريق الأبوة، أي الأب تركي الأصل وليس بالتجنس، وقد تكون الأم تركية [كذا ؟][302] أو ليبية أو من جنسية أخرى.

2 - المتتركون ويُعرفون بالأتراك المتجنسين، أي من هم من أصولٍ غير تركية في جذورها، ولكنّهم أصبحوا أتراكاً بالتجنس خلال عملية الديفشرمة. وأهمُّ هذه العناصر هم في أغلبهم من اليونانيين والألبان والشراكسة.

3 - المتكرغلون [كذا] ممن كانوا نتيجة انضمام و"تكرغل" كثير من أفراد وعائلات بعض القبائل العربية أو البربرية الكاملة، مما زاد عدد الكراغلة الذين ما يزالون محتفظين حتى الآن بأسماء وألقاب تشير إلى أصولهم الليبية"[303].

ويبدو من مقدمة الكتاب أنّ الباحث شديد التأثر بآراء الأستاذ المؤرخ محمد مصطفى بازامة[304]، في حين يشير في الفصل الثالث (الكراغلة وأصولهم الليبية) إلى ذلك الخلاف بين المؤرخ التركي عزيز سامح، ومترجم كتابه الأستاذ المؤرخ عبد السلام أدهم حول الكراغلة، وأنّ أدهم قد: "فنّد مزاعم سامح وأكّد على عروبة الكراغلة". كما آثر الباحث في هذا السياق أيضاً استشارة المؤرخ الفلسطيني الدكتور أحمد صدقي الدجاني الذي كان

---

302 - إذا كانت الأم تركية فلا صلة له بالقولوغلية، في المفهوم المغاربي للمصطلح.

303 - د. فرج عبد العزيز نجم، **القبيلة والإسلام والدولة**، ص 128 ـ 129.

304 - **المصدر نفسه**، ص 3.

لصيقاً بالأستاذ أدهم - كما تقدّمت الإشارة - فأكّد له أيضاً: "أنّ آراء عبد السلام أدهم ترجح وتفضل على آراء عزيز سامح خاصّةً في موضوع كهذا بكل ارتياح"[305].

***

ويتبيّن أخيراً من خلال عرض هذه الدراسات المعاصرة: أنّ ثلاثة باحثين ليبيين من أجيال متتالية - وهم على التوالي: الأستاذ عبد السلام أدهم، والدكتور عقيل البربار، والدكتور فرج عبد العزيز نجم - يأخذون بهذا الرأي غالباً، وهو ترجيح الأصل الليبي لطائفة القولوغلية إجمالاً، دون مراعاةٍ للمراحل السابقة. ويجب أن نفرّق هنا بين أمرين جليّين، وهما:

(أ) – إمكانية تطور دلالات الألفاظ والمصطلحات؛ وفقاً لتطور الاستخدام (مع مرور الزمن / أو اختلاف المواضع)، وهو مما يتفق مع قانون اللغات[306].

(ب) – استحالة تغيير الانتماء العرقي لأيّةِ شريحةٍ من السكان؛ بسبب تطور دلالة الاسم الذي عُرفت به عند ظهورها، وتوسُّعه إلى دلالةٍ اجتماعيةٍ أو سياسيةٍ أخرى في مرحلةٍ لاحقة.

وخلاصة الأمر أنّ هؤلاء الباحثين الأفاضل قد أغفلوا النظر في (**الإمكانية الأولى**)، وآثروا اختيار (**الاستحالة اللاحقة**)، وتطويع المصطلح لها خلافاً

---

305 - **المصدر نفسه**، ص 131 ـ 132.

306 - ومن هنا آثرت وصف هذه المساهمة الدراسية عن مصطلح القولوغلية في فضائه العثماني، بأنّها: (**مثال دراسي من تحوّلات الدلالة في المعجم التاريخي**).

لدلالته الأصلية الصريحة، وقد حاولت في هذه المساهمة المتواضعة أن أجتهد قدر الإمكان في حشد ما تقدّم من المصادر التاريخية، وتصنيفها موضوعياً، لتوثيق هذا التطور الملحوظ في دلالة المصطلح، بين: (مركز الدولة العثمانية أولاً / والإيالات المغاربية عامة / وولاية طرابلس على وجه الخصوص).

***

(ملحق لغوي ختامي للدراسة)

جدول تراتبي لتصنيف المصادر وفق دلالة مصطلح القولوغلية في فضائه العثماني منذ ظهوره إلى اليوم

المرحلة الأولى: منذ الإذن بالزواج للإنكشارية.

الدلالة المركزية: أبناء الجند - عسكرية.

ر. م	المصادر	التاريخ
1	من تشكيلات الدولة العثمانية: أوجاقات القابي قول – ج **1** أوجاق العجمية وأوجاق الانكشارية (إسماعيل حقي أوزون جارشيلي ـ باللغة التركية). Ismail Hakki Uzuncarsili , **Osmanli Devlti Teskilatindan Kapukulu Ocaklari, 1 Acami Ocagi ve Yeniceri Ocagi** , 3 baski Ankara : Turk Tarih Kurumu Basimevi	**1943**
2	معجم التعابير والمصطلحات التاريخية العثمانية (محمد زكي باقالين ـ باللغة التركية). Mehmt Zeki Pakalin ,**Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri Sozlugu** , Istanbul 1993.	**1946 - 1956**
3	دائرة المعارف الإسلامية (الإصدار الأول ـ باللغة التركية). **Islam Ansiklopedisi** , c.6 s.978 – 979	**1940 - 1988**
4	الدولة العثمانية: تاريخ وحضارة: (الأصل التركي). (الترجمة العربية).	**1994** **1999**
5	دائرة المعارف الإسلامية (الإصدار الثاني ـ باللغة التركية).	منذ

1988 (عمل جار)	Turkiye Diyanet Vakfi, **Islam Ansiklopedisi** , c.26 (Ankara 2002) s 358 – 359.	
1988	في اللغة التركية والثقافة المعاصرة: المعجم التركي (طبعة جديدة). Ataturk Kultur , Dil ve Tarih Yuksek Kurumu - Turk dil Kurumu , **Turkce Sozluk ,** Yeni Baski , Ankara 1988 , c. 2 s. 925.	**6**
1992	معجم وموسوعة لاروس الكبرى (باللغة التركية). **Buyuk Larousse Sozluk ve Ansiklopedisi,** Istanbul 1992 , c. 14 s. 7148**.**	**7**
2001	موسوعة كُتّاب تركيا (باللغة التركية). Ihsan Isik , **Turkiye Yazarlar Ansiklopedisi** , Ankara 2001, s.608.	**8**

المرحلة الثانية: منذ أواخر القرن (10هـ/ 16م).

الدلالة المغاربية: أبناء الجند / المولّدون من أبوين مختلفين - نسل هجين: عسكرية / عرقية اجتماعية.

طرابلس

التاريخ	المصادر	ر. م
تحت الطبع	تاريخ مملكة طرابلس الغرب (في القرن السابع عشر)، للطبيب جيرار البروفنصالي (الأسير بطرابلس **1668 - 1676**م) باللغة الفرنسية. (الترجمة العربية).	**1**
نحو 1145هـ	التذكار فيمن ملك طرابلس ومن كان بها من الأخيار (لابن غلبون).	**2**

3	اليوميات الليبية - الجزآن الأول والثاني (حسن الفقيه حسن).	**958 - 1251هـ**

تونس

ر. م	المصادر	التاريخ
1	ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان (حسين خوجه).	**(ت 1145هـ)**
2	المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي (محمد الصغير بن يوسف الباجي).	**(ت 1184هـ)**
3	الحوليات التونسية (البارون ألفونس روسو - الترجمة العربية).	**(ت 1870م)**

الجزائر

ر. م	المصادر	التاريخ
1	مذكرات (أحمد الشريف الزهار).	**(ت 1289هـ)**
2	المرآة (حمدان بن عثمان خوجه الجزائري - الترجمة الفرنسية، ومنها إلى العربية).	**(ت 1255هـ)**
3	مرآت الجزائر (علي رضا باشا - الترجمة التركية العثمانية)	**(ت 1293هـ)**

المرحلة الثالثة: العهد العثماني الثاني إلى مطلع القرن العشرين.

الدلالة الطرابلسية: بمعنى المخازنية - دلالة وظيفة: قبائل المخزن العاملة في خدمة السلطة.

ر. م	المصادر	التاريخ
1	(فترة الايالة **1251 - 1282هـ/ 1835 - 1865م**) اليوميات الليبية - الجزء الثالث (حسن الفقيه حسن).	**1251 - 1271هـ**

*	***	*
1	(فترة الولاية 1865 - 1902م) العدد الأول من صحيفة (طرابلس الغرب).	1283هـ
2	سالنامات ولاية طرابلس الغرب (مزيج من التركية العثمانية والعربية).	1286 - 1312هـ
3	مخطوط عسكري عثماني (ثلاثة من ضباط الأركان): [خلاصة تنبيهاتنا عن زيارتنا العسكرية التي أجريناها في طرابلس وبنغازي].	1305 مالية
4	مطبوعة (معلومات) العثمانية.	1315هـ
5	من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى (عبد القادر جامي - بالتركية العثمانية - نقل إلى العربية).	1326
6	تاريخ طرابلس الغرب (حسن صافي - بالتركية العثمانية).	1328 مالية

المرحلة الرابعة: منذ إلغاء امتيازات القولوغلية سنة 1902م إلى اليوم في الذاكرة الشعبية.

عودة الدلالة الطرابلسية إلى سابقتها المغاربية.

ر.م	المصادر	التاريخ
1	طرابلس الغرب (الاخوان: محمد نوري ومحمود ناجي - بالتركية العثمانية - نقل إلى العربية).	1330

يليه القسم الثاني ـ بإذن الله تعالى

(مقاربة أوليّة لشريحة من السكان)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فصول القسم الأول من الكتاب

منشورات موقع بلد الطيوب سلسلة الكتاب الليبي